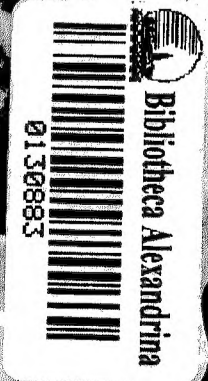


وَالِدُ قَوْمٍ وَلَدَتْ



أحمد حسين



منشورات المكتبة العصرية
طيدا - بيروت

أحمد حسين

General Organization Of the A.S.
and Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

رقم الترخيص: ١٠ - ١٢
رقم التسجيل: ٥١٥٥٦

وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ

منشورات المكتبة العصرية
طيدا - بيروت





صاحب الجلالة
الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود العظم



صاحب السمو الملكي
الامير فهد بن عبدالعزيز آل سعود المعظم
ولي العهد، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية



الأمير عبد الله بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة في ٢٢ ربيع ثاني ١٣٩٥
٤ مايو ١٩٧٥

هذا كتاب كتبتّه وكان معدا للصدور منذ عام مضى ولكن « وما تشاءون
الا أن يشاء الله » وقد شاءت ارادته سبحانه وتعالى ان لا يصدر الكتاب الا
بعد أن يغلق كتاب فيصل ويصطر بدمه أرواح صفحاته وان يحشّر مع الصديقين
والشهداء وحسب أولئك رفيقا .

ان فيصل أيا كانت عظمته فقد كان لا بد ان يموت. تلك سنة الحياة وقد
قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه وخير من حملت الارض وأظلت
السماء « انك ميت وانهم ميتون » ولولا موت عبد العزيز آل سعود لما كان
فيصل الملك .

واذا كان الله قد شاء لي البقاء على قيد الحياة فلكي أشهد ما جرى
وأضيف لبنة الى بناء هذه السيرة. سيرة عبد العزيز فها هي الايام تثبت انه
لم يكن ملكا عظيما فحسب ، لا ولم يكن مؤسس دولة ، ولكنه كان باعث
مجد الامة الاسلامية كلها كما دل على ذلك جنازة الملك الشهيد حيث جاء
ملوك العالم كله ورؤساؤه او ممثلوهم ليسيروا في الموكب الحزين ، وحيث
تملكتني الدهشة (انا شخصا) وانا ارى كل اذاعات العالم ترثيه يل
وتبكيه ، وانطلق صوت القرآن الكريم من كل اذاعات العالم من آمن به ومن لم
يؤمن تكريما وتمجيذا ومواساة ومجاملة للمملكة العربية السعودية التي

أصبحت رمزا على زحف الاسلام في العصر الحديث • ولقد كان يخيّل
 لأهواء العرب والمسلمين أن مثل هذه الضربة المجنونة الشيطانية التي تفقد
 المسلمين « فيصلا » سوف تهدم كياناتهم وتعطل مسيرتهم ، فإذا بها لدهشة
 العالم كله تظهر مدى ما وصلت اليه المملكة العربية السعودية من قوة
 ومنعة فأنما هي بضع ساعات كانت كافية لكي تعود الحياة الى سيرها ،
 وتستأنف القافلة رحلتها المظفرة ، ولا عجب في ذلك ، فإن عبد العزيز العظيم
 هو الوالد الذي كان منه فيصل ، ومنه اليوم خالد وبقية الإبناء الصالحين،
 وكلهم فروع لدوحة واحدة أصلها ثابت وفرعها في السماء •

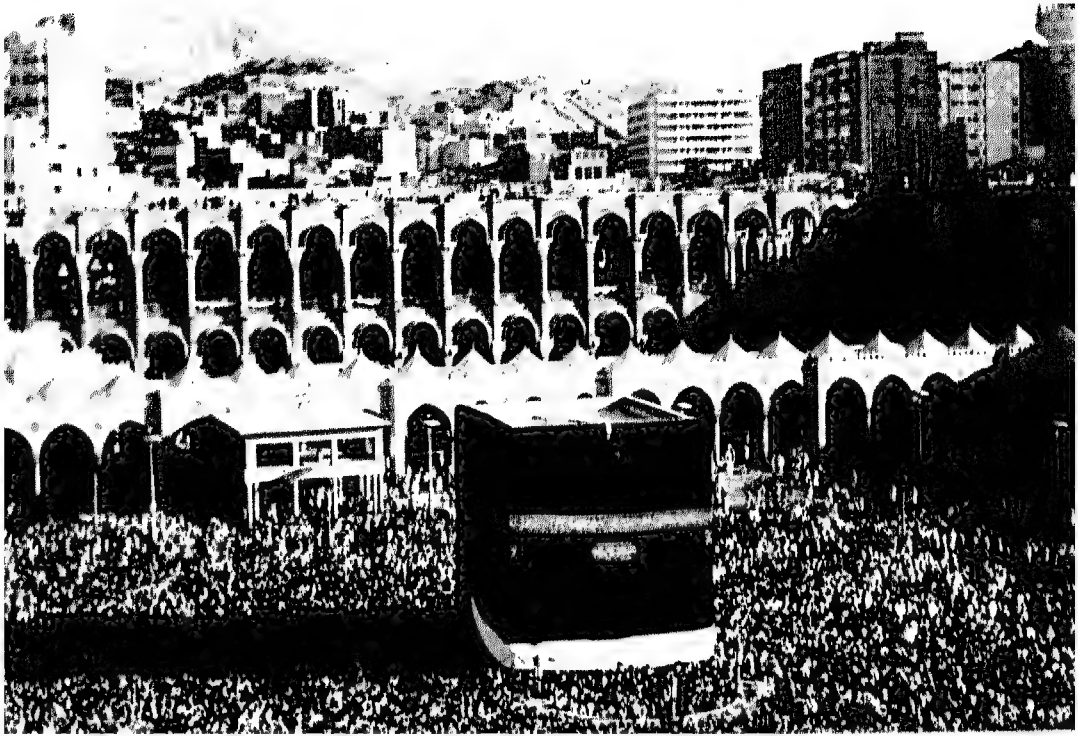
وبعد فقد أتيت لي في هذه السنة التي انقضت مذ فرغت من هذا الكتاب
 وسلمته لآخي الاستاذ شريف الانصاري لطبعه ان تتبلور في نفسي فكرة عن
 مستقبل الاسلام وكل ما يجري او يقع في العالم أصبح يؤكد في نفسي والقول
 ذو سعة ولكني لا استطيع وانا في معرض الحديث عن عبد العزيز وفيصل
 الا أن أجعل هذا الذي يعتلج في نفسي في بضع كلمات ، لقد أصبحت أو من
 ان انطواء الجزيرة العربية على أكبر مخزون من الطاقة ليس شيئا قد
 حدث بالصدفة وانما هو أمر شاءه الله كما شاء ان يزود الجزيرة بهذا
 النفر من الامراء الامجاد سواء في الكويت او قطر او البحرين والامارات
 المتحدة وفي السعودية أولا وان يرتفعوا جميعا الى مستوى مسئوليتهم
 التاريخية.أنني أرى في ذلك كله مشيئة الله في بعث المسلمين وعودتهم من
 جديد ليضطلعوا بدورهم القيادي في هداية البشرية والله ولي التوفيق •

أحمد حسين

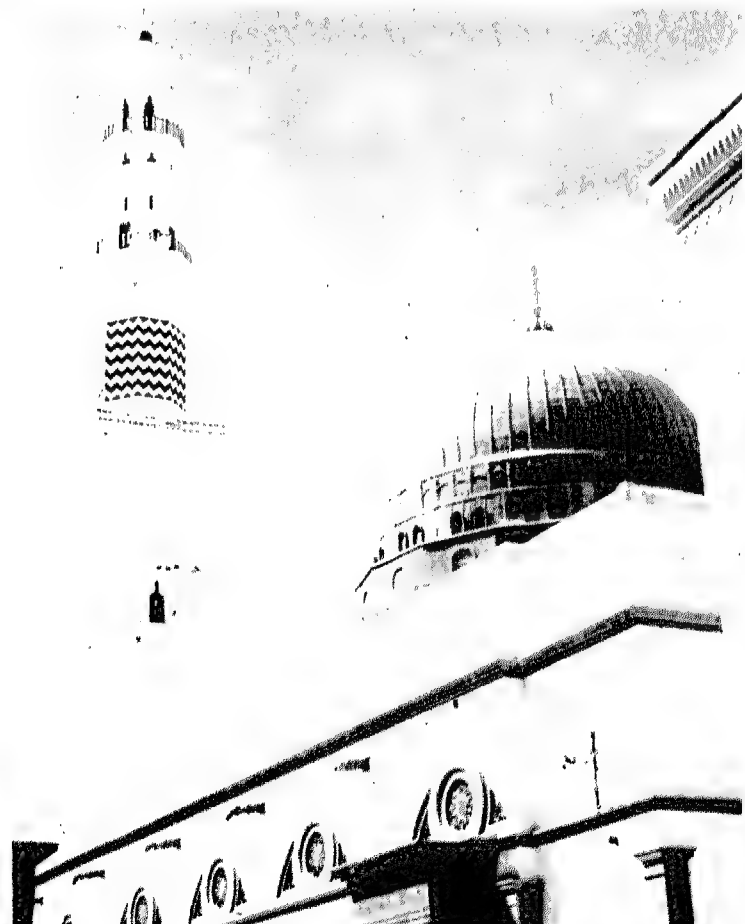
القاهرة ٣٦ شارع الروضة

منظر ليلي للمسجد النبوي الشريف الذي
يعتبر من روائع فن العمارة الإسلامية





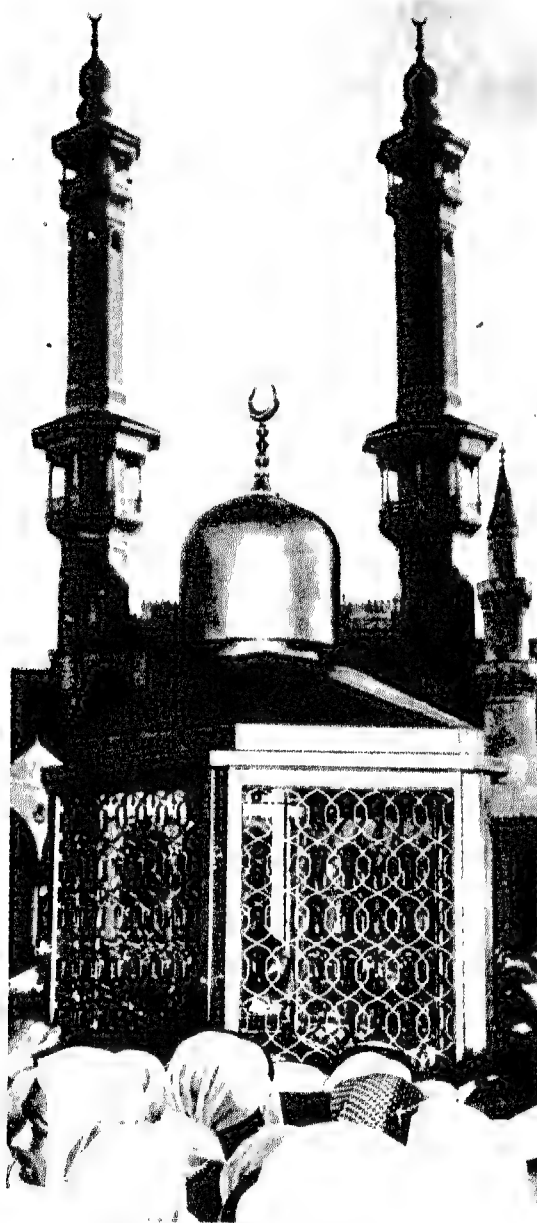
مكة المكرمة - الكعبة المشرفة



المدينة المنورة
المسجد النبوي



أنصفا والمروة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .



مقام إبراهيم بالمسجد الحرام في مكة المكرمة .



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

ووالد ومما ولد

أكتب هذا الكتاب بعد ان فرغت لتوي من كتابة كتاب عن محمد
أنور السادات ، او بالاحرى شهادة لانور السادات • وليس هذا الكتاب
الا شهادة لفیصل بن عبد العزيز آل سعود ، فان ظروفی الصحية
لا تمكنني من ان اؤلف كتابا وان كانت لا تحول بيني وبين الادلاء
بشهادتي امام التاريخ •

أما لماذا شعرت ان من واجبي ان ادلي بشهادتي امام التاريخ
فذلك لكي اكفر عما ارتكبته من خطأ في حقيهما •

واذا كنت قد ظلمت انور السادات مرة ، فقد ظلمت فیصل مرتين •
بينني وبين الشيخ محمود فايد :

وكان ظلمي الشديد للملك فيصل قد وقع مني خلال حوار جرى
بينني وبين الشيخ محمود فايد ذلك العالم الجليل المجاهد الذي يجود

الزمان بمثله الحين بعد الحين ، راح الشيخ محمود فايد الذي يعمل الآن استاذاً بجامعة المدينة المنورة ، يشي على الملك فيصل . وعندما يتكلم الشيخ محمود فيجب ان نصغي ، وعندما يشي فيجب ان نصدق ، ذلك ان كلامه لا يمكن ان يتسرب اليه ذرة من شك . انه لا يجامل فضلا عن انه لا ينافق ، فقد رفع صوت الحق في وقت استطاع فيه الارهاب أن يخرسنا جميعا . وكان من نعم الله عليه وآياته بالنسبة لنا ان حماه ورعاه بطريقة معجزة . هذا هو الشيخ محمود فايد وهذه مكاتته في نفسي ، ومع ذلك فلم يكذب شي على فيصل ، حتى كنت اقول له « اسمع يا شيخ محمود ، انت تعرف مكاتتك الرفيعة في نفسي ، ولذلك ارجوك ان تكف عن هذا الحديث ولا تعيده مرة أخرى ، فمن كان مثلك في مكانته وتقدير الناس له فيجب ان ينأى بنفسه عن هذه المواضيع » ثم رحت اقول ما لا محل الآن لذكره ، وهو ما ارجو ان يسامحني الله عليه ، وما جئت بهذا الكتاب الا ليكون كفارة عنه .

كان هذا الحوار الذي جرى بيني وبين اخي في الله الشيخ محمود فايد في اغسطس من عام ١٩٧٣ اي في رجب ١٣٩٣ . ثم كان العاشر من رمضان (٦ اكتوبر) وزلزلت الارض زلزالها تحت اقدام الطغاة من بني اسرائيل ، وكان ما كان مما سأعود اليه في موضعه ، وفجأة وجدت الملك فيصل أحد اثنين اصبحا احب الناس عندي ، بعد ان اجرى الله على ايديهما آياته ومعجزاته ، وأعني بالرجلين أنور السادات وفيصل بن عبد العزيز .

ولكي نتحدث عن فيصل يجب ان نعود الى الوراء لتحدث عن أبيه . فمهما كان جمال الشجرة عندما تورق وتزهر فهي ليست سوى

الثمرة الناضجة جذع الشجرة وجذرها • ولكي نكشف عن جذور
الشجرة السعودية ، فلا مناص من الاشارة الى محمد بن عبد الوهاب ذلك
المصلح الاسلامي الكبير الذي كان التقاؤه بالسعوديين خيرا وبركة
لا على جزيرة العرب فحسب ، بل على العالم الاسلامي كله • والله وليّ
التوفيق •

٣٦ شارع الروضة – القاهرة ١٠/٦/١٩٧٤

أحمد حسين

القسم الأول
نشأة المملكة العربية السعودية
وتطورها



صاحبُ الجلالة
المنفور له الملكُ عبد العزيز آل سعود

الفصل الاول

تاريخ الحركة الاصلاحية

كان محمد بن عبد الله هو اول من احدث ثورة في جزيرة العرب لم تلبث ان انتشرت من الجزيرة حتى عمت الآفاق ، وما هو الا قرن من الزمان حتى عادت جزيرة العرب الى سابق عهدها فلم يعد لها شأن يذكر ، باستثناء منطقة الحرمين الشريفين حيث ظلا مقصد المسلمين من مشارق الدنيا ومغاربها لأداء فريضة الحج والزيارة . اما باقي اجزاء الجزيرة فقد عادت بالتدريج الى سابق العهد لا اهمية لها ولا خطر ، تسكنها قبائل تتعاضد حيناً وتتصالح حيناً آخر ، يعيش بعضها على الزراعة المحدودة والبعض الآخر - وهو الفريق الأكبر - على الرعي ، ويعيشون جميعاً على النهب والسلب ، تارة يغير هذا الجانب فيسلب ما عند الآخرين ، وتارة يغير الطرف الآخر فيسترد ما سلب منه في يوم من الايام بالارباح المركبة وهكذا دواليك .

وليس لما كان يجري في داخل جزيرة العرب تاريخ يتابع ذو قيمة

او ذو عناء ، ولكننا اذا رجعنا الى القرن الثاني عشر الهجري وجدنا بعض المؤرخين النجديين كابن بشر وابن غنام يحدثننا عما وقع في ايامهم وشاهدوه بأعينهم ، وما كتبوه يصور لنا ان قلب الجزيرة قد فُكس على رأسه ، وعاد الى ايام الجاهلية الاولى ، وسادت الهمجية والبربرية ، فالعلماء يقتلون لا لذنب الا لانهم علماء ، ثم لا يكتفى بقتلهم بل يعذبون اشد العذاب ، فأهل احدى القرى بعد ان قتلوا بمن عندهم من العلماء ، عمدوا الى عالم جليل مكفوف البصر وقتلوه ثم صلبوه منكسا ، ووضعوا الجبل في رجليه وادلوا رأسه الى الارض وفيه رمق يتردد . وليس لهذه القسوة من تعليل الا انتزاع كل اثر من آثار الايمان او العلم من قلوبهم ، فالمرأة العقيم تطوف بحجر او شجر او قبر وتقترب لها بالقرايين فتذبحها ثم تمسح بدم الذبيح كي ترزق بالولد . والتاجر يختر دكانه بظفر حيوان ووبره استجلابا للرزق ودفعاً للحسد ، واصبح التداوي لا سبيل له الا ارضاء الجن بالذبح لها ووضع الطعام لها في زوايا البيوت واستجلاب رضاها ، وليس من يجرؤ على تبصير الناس بما هم فيه من وهم وضلال ، فقد قتل او ذبح كل من حدثته نفسه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

في وسط هذا الجو ولد محمد بن عبد الوهاب ، وكانت ولادته في عام ١١١٥ هـ الموافقة ١٧٠٢ م اي منذ قرنين ونصف قرن تقريبا ، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان قاضي بلدة العيينة ، وكان شيخا عالما جليل القدر ، فقرأ محمد بن عبد الوهاب على ابيه الفقه ، وسرعان ما ظهرت عليه علائم النجابة ، فكان دائم المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في اصل الاسلام ، وبدأ يدرك على الفور ما تردت فيه البادية من همجية وردة عن دين الاسلام ، وبدأت تجيش نفسه بما تجيش به نفس كل مصلح من عزم على تغيير هذه

الحالة • فلما بلغ من العمر عشرين ربيعا بدأ يستخدم فصاحته وعلمه في مناقشة أنداده وأضرابه ، بل ومن هم أكبر منه سنا في ما آلت اليه احوال البلاد فلم يجد منهم أذنا صاغية لخوفهم ، بل على العكس وجد منهم الهزء والسخرية بمحاولاته الفاشلة والتي وصفوها بالطائشة ، فما هو الا ان ضاقت به العينة فانتهاز فرصة موسم الحج فشدد الرحال الى مكة ، فلما قضى حجه سار منها الى المدينة ، وهناك قيض له ان يلتقي ببعض العلماء الاجلاء الذين وجد عندهم شفاء ما في نفسه وموافقة لما في فكره من وجوب استنكار ما عليه مواطنوه في البداية من بدع ومنكرات • فعاد مرة ثانية الى نجد ، ولكن حظه هذه المرة لم يكن بأوفر من حظه قبل سفره منها ، فرأى ان يهاجر الى الشام ، فاستقر في طريقه اليها باحدى قرى مدينة البصرة ، ولكن لم يكد يعرف عنه افكاره عما تفشى بين المسلمين من تمسك بالبدع والضلالات وتوسل بالاولياء وتمسح بقبورهم ، حتى اجتمع عليه رؤساء البصرة وعامتهم فأخرجوه منها في يوم شديد الحر وليس لديه ما يمتطيه سوى قدميه ، ولا من غذاء أو شراب ، وتوعدوه بالموت ان هو عاد الى المدينة ، فلم يسعه الا أن يرحل الى بلدة الزبير فكاد يهلك في الطريق من شدة العطش لولا ان قيض الله له من انقذه •

واذا كانت بلاد الارض كلها قد تساوت في اظهار العداوة والبغض للشيخ ، فقد اعتزم ان يعود الى نجد مرة اخرى . وبعد صعوبات ومشقات جديدة استقرت به النوى مرة اخرى في بلدة العيينة بعد ان تعاهد مع رئيسها عثمان بن حمد بن معمر على ان ينصره ويحميه ويساعده على محاربة الضلالات والالوهام ، وتعليم الناس التوحيد وتطهيرهم من ادران الشرك ، فتلقاه الرجل بقبول حسن ، وأصهر اليه فتزوج الجوهرة بنت عبد الله بن معمر ، وبدأت احواله بذلك تستقيم ويشدد ساعده ، فاتتقل من مرحلة

الانكار بالقول واللسان الى الانكار باليد ، فكان في العينة اشجار تعظم ويعلق عليها العرب تقديسا لها وتكريما وتعبدًا ، فبعث الشيخ الى هذه الاشجار من يقطعها سرا فقطعت .

وكان في البلدة شجرة كبيرة هي اعظمها قدرا ، خاف الجميع ان يقربوا منها ، فخرج لها بنفسه سرا ليقطعها ، فوجد عندها راعي غنم اهل البلد ، فأراد ان يمنحها منه فأغراه الشيخ بان اعطاه بعض ملابسه التي يرتديها ، فخلى الرجل بينه وبينها فقطعها ، فلما لم يصب بشيء بدأ امره يشتد ويقوى ، فتجمع حوله على ما يقول ابن بشر مؤرخ نجد سبعون رجلا ، من بينهم بعض رؤساء المعامرة ، وعاهدوه على ان يكونوا معه يدا واحدة في محاربة المنكرات والبدع .

واني ادع القول الآن لابن بشر ليحدثنا عن تاريخ تطور حركة محمد بن عبد الوهاب بعد ذلك في اوجز عبارة وابلغها واصدقها . قال : « ثم ان الشيخ أراد أن يهدم قبة قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه التي هي عند (الجبيلة) فقال لعثمان بن معمر : دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى ، فقال دونك فاهدمها ، فقال الشيخ اخاف من اهل الجبيلة ان يوقعوا بنا ولا استطيع هدمها الا وانت معي ، فصار معه عثمان بنحو مائة رجل ، فلما قربوا منها ظهر عليهم اهل الجبيلة يريدون ان يمنعوها ، فلما رأهم عثمان علم ما هموا به فتأهب لحربهم وامر جموعه ان تنعزل للحرب ، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها . ذكر لي ان عثمان لما اتاها قال للشيخ : نحن لا نتعرض لها ، فقال : اعطوني الفأس فهدمها الشيخ بيده ، حتى ساواها ثم رجعوا ، فانتظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاؤهم ما يحدث للشيخ بسبب هدمها ، فاصبح في احسن حال » .

رجم الزانية :

وبعد ذلك اتت امرأة الى الشيخ واعترفت عنده بالزنى والاحصان،

وتكرر منها الاقرار ، فسأل عن عقلها فاذا هي صحيحة العقل ، فقال لها لعلك معطوبة فأقرت واعترفت بما يوجب الرجم فأمر عليها فرجمت ، فعظم امره بعد ذلك وكبرت دولته ، وفشا التوحيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولما صدرت منه هذه ، اعني رجم المرأة ، اشتهر امره في الآفاق ، فبلغ خبره سليمان بن محمد قائد الاحساء والقطيف ومسا حوله من العربان ، وقيل له : ان في بلدة العيينة عالما فعل كذا وكذا ، فأرسل سليمان الى عثمان كتابا وقال ان هذا المطوع الذي عندك فعل كذا وكذا ، وتهدد عثمان وطلب منه ان يقتل محمد بن عبد الوهاب ، وقال له : فان لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الاحساء ، وخراجه عندهم كثير قيل لي انه اثنتا عشرة مائة احمر وما يتبعها من طعام وكسوة . فلما ورد كتابه على عثمان بن معمر لم يسعه ان يخالفه ، واستعظم امره في صدره ، فأرسل الى الشيخ وقال له : انه اتانا خط من سليمان قائد الاحساء وليس لنا طاقة بحربه ولا اغضابه ، فقال له الشيخ : ان هذا الذي قمت به ودعوت اليه كلمة لا اله الا الله واركان الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فان انت تمسكت به ونصرته فان الله سبحانه يظهر لك على اعدائك ، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك ، فاني ارجو ان ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك بلاده وما وراءها وما دونها ، فاستحيا عثمان وأعرض عنه ، ثم تعاضم في صدره امر صاحب الاحساء وباع الآجل بالعاجل ، وذلك لما في علم الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر واخفى ، يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير . ان نصر هذا الدين والظهور والغلبة والتمكين يكون لغيره وعلى يد غيره ، فأرسل الى الشيخ ثانيا وقال ان سليمان امرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة امره لانه لا طاقة لنا بحربه ، وليس من الشمم والمروءة ان نقتلك في بلادنا ، فأمر فارسا عنده يقال له الفريد مع خيالة معه منهم طوالة الحراني ، وقال : اركب جوادك

وسر بهذا الرجل الى ما يريد ، فقال الشيخ : اريد الدرعية ، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلا امامه ، وليس معه الا المروحة وذلك في غاية الحر في فصل الصيف ، فقال ابن معمر لفارسه اذا انت وصلت الى اخيه يعقوب فاقتله عنده ، وكان يعقوب هذا رجلا صالحا قتل ظلما بين الدرعية والعيينة ، وجعل في غار جبل هناك على قارعة الطريق ، فسار الفارس والشيخ امامه وهو لا يلتفت ويلهج بقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، والفارس لم يكلمه ، فلما هم بقتله كف الله عنه يده وأبطل كيده ، وقذف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع ان يمشي قدما ، فحرف جواده وانصرف الى العيينة . وقال لعثمان انه اصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي (١) .

واما الشيخ فانه سار الى الدرعية فوصل الى اعلاها وقت العصر ،

(١) هذه الحادثة التي ذكرها المؤلف اعتمادا منه على ما ذكره ابن بشر ليست صحيحة ، فقد جاء في كتاب « محمد بن عبد الوهاب » للاستاذ احمد عبد الغفور عطار (الطبعة الرابعة ، صفحة ٥٧ - ٦٠) ما نصه : « في كتاب « عنوان المجد » لابن بشر ج ١ ص ١٥ طبعة مطبعة الشبنندر ببغداد سنة ١٣٢٨ هـ التي اشرف على تصحيحها العلامة الشيخ محمد بن نافع مانصه : « واعلم رحمك الله اني قد ذكرت في المبيضة الاولى اشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر وفرسانه وانه امر بقتل الشيخ في الطريق ، وغير ذلك ، ثم تحقق عندي ان ليس لها اصل بالكلية فطرحتها من المبيضة » .

ويكفي هذا لنفي ما نسب الى عثمان بن معمر ، فابن بشر هو نفسه نفاه نفيا بعد ان تحقق لديه عدم صحته ، وهناك ادلة وبراهين ووقائع صحيحة تثبت ان ما نسب الى ابن معمر لا صحة له ، وان ابن معمر كان مخلصا للدعوة وقاد جيوشا .

الناشر

شريف الأنصاري

فقصد الى بيت محمد بن سويلم العريني ، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جأشه ، فزاروه خفية فقرر لهم التوحيد واستقر في قلوبهم ، فأرادوا ان يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته فهابوه ، فأتوا الى زوجه معرض بنت ابي وهطان وكانت ذات عقل ومعرفة ، فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه ، فوقر في قلبها معرفة التوحيد وقذف الله في قلبها محبة الشيخ ، فلما دخل عليها زوجها محمد أخبرته بمكانه ، وقالت ان هذا الرجل اتى اليك وهو غنية ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته ، فقبل قولها والقي الله سبحانه في قلبه للشيخ المحبة ، فأراد ان يرسل اليه ، فقالوا سر اليه برجلك في مكانه ، وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس ان يكرموه ويعظموه .

فسار اليه محمد فدخل عليه في بيت ابن سويلم ورحب به وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعز والمنعة ، فقال الشيخ : وانا أبشرك بالعز والتمكين ، وهذه كلمة (لا اله الا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهي كلمة التوحيد ، وأول ما دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم ، ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دعا اليه وما عليه اصحابه رضي الله عنهم من بعده ، وما أمروا به وما نهوا عنه ، وان كل بدعة بعدهم ضلالة وما أعزهم الله به بالجهاد في سبيل الله وأغناهم به وجعلهم اخوانا ، ثم أخبره بما عليه اهل نجد اليوم من مخالفتهم بالشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والجور والظلم ، فلما تحقق محمد بن سعود معرفة التوحيد وعلم بما فيه من المصالح الدينية والدنيوية قال له : يا شيخ ان هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه ، وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به ، والجهاد لمن خالف التوحيد ، ولكن اريد ان اشترط عليك اثنتين ، نحن

إذا أقمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان،
 اخاف ان ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا ، والثانية ان لي على الدرعية
 قانونا آخذة منهم في وقت الثمار ، وأخاف ان تقول لا تأخذ منهم شيئاً ،
 فقال الشيخ اما الاولى فابسط يدك ، الدم بالدم والهدم بالهدم ، واما
 الثانية فلعل الله ان يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير
 منها ، ثم ان محمدا بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله
 والجهاد في سبيل الله ، واقامة شرائع الاسلام والامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر ، فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده فتسلل اليه
 شيعته الذين في العينة ومن ينتسب الى الدين ومعهم أناس من رؤساء
 المعامرة معاكسين لعثمان بن معمر وهاجروا الى الدرعية واناس ممن
 حولهم من البلدان لما علموا ان الشيخ استقر ومنع ونصر .

ولما استوطن الشيخ الدرعية وكانوا في غاية الجهالة وما وقعوا
 فيه من الشرك الاكبر والاصغر ، والتهاون بالصلاة والزكاة ورفض
 شعائر الاسلام فدعاهم الشيخ الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم
 أمرهم بتعلم معنى (لا اله الا الله) وانها نهي واثبات (فلا اله) تنفي
 جميع المعبودات (والا لله) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له ، ثم
 أمرهم بتعلم ثلاثة الاصول : وهي معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته
 الدالة على ربوبيته ، كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب
 المسخر بين السماء والارض وما عليها من الادلة من القرآن ، ومعرفة
 الاسلام انه تسليم الامر لله وهو الانقياد لامر الله ، والانزجار عن
 مناهيه ، ومعرفة أركانه التي بني عليها ، وما عليها من الادلة من
 القرآن ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه
 وهجرته ، ومعرفة أول ما دعا اليه وهي (لا اله الا الله) ، ثم معرفة
 البعث وأن من أنكره أو شك فيه فهو كافر ، بما على ذلك من الادلة من

القرآن ، ومعرفة دين محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو
التوحيد ، ودين ابي جهل واتباعه ، وهو الشرك بالله تعالى •
فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجاهالة اشرب في
قلوبهم محبة الشيخ ، وهاجر اليه الناس من كل فج عميق • انتهى •
تلك هي قصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما بدأت والتي لم
تكمل حتى الآن • فلا يزال احفاد سعود ومحمد ابنه يحصلون لواء
التوحيد وينافحون عنه ، واذا كان العالم الاسلامي كله اليوم تحت
تأثير النور والعرفان قد بدأ يدرك بفطرته هذا الذي دعا اليه محمد بن
عبد الوهاب ويميل اليه ويتعشقه ، فسيظل التاريخ يسجل الفضل لآل
سعود الذين كانوا اول من نصره واستجاب له ، واحتملوا في سبيل
ذلك ما احتملوه من عنت ومن ارهاق ، مما سنعرض له في الفصول
المقبلة •



الفصل الثاني

حديث محمد بن عبد الوهاب والسعوديين

تركنا في حديثنا السابق الامام محمد بن عبد الوهاب ، وقد التجأ الى محمد بن سعود في الدرعية ، فحماه وآواه ، ثم شرع الاثنان معا يشنان الغزوات على ما يحيط بهما من بلاد وقبائل وامارات لنشر دين التوحيد ومحاربة البدع والضلالات والمنكرات ، فتصدى لهما امير الرياض دهم بن دوس وعريعر امير الاحساء ، ودارت الحرب بينهما ضروسا وسجالا طوال ربع قرن انتهت بانتصار الامير السعودي ومحمد بن عبد الوهاب ، فدانت لهما الرياض بالطاعة بعد قتل اميرها ، ودخل الاحساء في حكمهم ، وفي هذه الاثناء مات محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز ، وهو القائد المغوار الذي قام بعبء الحرب ايام ابيه ، فسار سيرته وزاد عليها ما اشتهر به من تقشف وبساطة وتواضع ، حتى كان لا يفرق بينه في الملبس والمأكل وبين اصغر فرد من رعاياه .

وفي ايامه بدأ امراء العراق من آل السعدون يتصدون لحربه ، فانتصر عليهم في عدة معارك حربية كان اهمها عندما دخل جيثه الى مدينة كربلاء فأوقع

بها وقعة عظيمة ، وهدم ما بها من قباب عزيزة على نفوس الشيعة .
ومن الناحية الاخرى دخل في حرب مع الشريف غالب أمير مكة فهزمه ،
ودخلت جيوش عبد العزيز الى الحجاز اكثر من مرة فدان له . ولكن
السرف غالب كان يعود بمساعدة جيوش الاتراك فيسترد مكة ثانية .
وفي سنة ١٢١٨ هجرية (١٨٠٣ ميلادية) قتل عبد العزيز وهو قائم
يصلي في مسجد الطريف ، وكان محمد بن عبد الوهاب قد مات من
قبل في سنة ١٢٠٦ هجرية فظن ان حركة البعث والاصلاح قد خبا
نورها بوفاة هذين الرجلين العظيمين ، ولكن الشجرة اذا ثبتت اصولها
في الارض لا يتي عليها الا ان تنو وتسر . وهكذا فقد اثرت هذه
الجهود الجبارة واتت اكلها في عهد سعود بن عبد العزيز ، والذي أطلق
عليه التاريخ بحق لقب سعود الكبير ، وقد كان كبيرا لم يسبقه من آل
سعود سابق ولم يخلفه مماثل الا ان يكون الملك عبد العزيز آل سعود،
فهو وحده الذي فاق الاولين والآخرين في عظيم فعاله وتثبيت دعائم
ملكه .

على أن سعود الكبير كان اول من دانت له جزيرة العرب ،
باستثناء اليمن في هذا الوقت البعيد ، وقد كان بطلا مغوارا يكره
اللقاب ويمقتها فلا يسمح لاحد أن يناديه الا باسمه المجرد « سعود »
وكان متواضعا وكان صارما الى حد القسوة في نفس الوقت ، رأى
ان يقر الامن في ربوع الجزيرة وأن ييسط سلطانه وهيئته على البادية ،
فقبل عنه انه زج بعض زعماء قبيلة مطير لجرائم ارتكبوها في السجن ،
فجاء وفد من أمراء هذه القبيلة يطالب بالافراج عنهم ويلوح في رجائه
واستعطافه بما عليه قبيلة مطير من قوة الشكيمة والعزة ، وانهم لا
يرضون بالزج بأمرائهم في السجن . فما كان من سعود الكبير الا انه
امر بقتل السجناء والاتيان برؤوسهم في طست عندما يمد سباط
الطعام ، فبهت الزعماء وانعقدت ألسنتهم من الرعب والخوف وواصلوا

تناول الطعام وهم لا ينبسون بينت شفة خوفا من ان يكون مصيرهم كمصير من جاءوا لخراجهم •

ونحن في العصر الحديث لا نستطيع بطبيعة الحال ان نستمتع مثل هذه القصص ، ولكن روح البادية وروح العصر الماضي كانت تجيز امثال هذه التصرفات الصارمة تحقيقا للامن والسلام •

ودخل سعود الى الحجاز غازيا في عام ١٢٢١ هـ وعين الشريف غالب ، الذي طالما قاوم السعوديين نائبا عنه على الحجاز ، بعد ان اخذ عليه العهود والمواثيق ان يحكم بكتاب الله وسنة رسوله • وقد أعطى الشريف غالب العهد على نفسه حرصا على منصب الامارة ، ولكنه لم يف بما عاهد عليه ، بل راح يكتاب السلطان محمود ويستعديه على سعود ويخوفه على ملكه من اطماع سعود ، ويذكره بان خطوته الثانية ستكون هي الانقراض على الشام والعراق خاصة ، وقد غلب سعود على بادية الشام والعراق بالفعل ، ويأخذ النسخ حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب على سعود الكبير اشتطاه الكبير في معاملة المصريين والأتراك ، وكيف حال بينهم وبين اداء فريضة الحج فترة طويلة من الزمن بدعوى ما في ركب المحمل المعتاد من بدع وضلالات •

وكيفما كان الامر فقد اسرع السلطان محمود الخليفة العثماني ، الذي كان يستمد سلطانه الروحي من كونه زعيم المسلمين وحامي الحرمين ، الى محمد علي يستعين به على حرب سعود واعادة الحجاز الى سلطان الخليفة الروحي ، فأصدر الى محمد علي فرمانا بتوليته الحجاز في سنة ١٢٢٢ هـ • ولكن محمد علي لم يتحرك الى غزو الحجاز الا بعد ذلك بأربع سنوات كاملة بعد ان فرغ من المماليك في مذبحه القلعة الشهيرة ، وبعد ان اكمل استعدادات الحملة المصرية المسافرة الى الحجاز بما في ذلك صنع المراكب والسفن اللازمة لنقلهم • وسارت

الحملة في عام ١٢٢٦ بقيادة طوسون بن محمد علي فوصلت الى المدينة
اول ما وصلت ، ولكنها لم تلبث ان ابيدت فلم ينج منها الا عدد قليل ،
ولكن النجدة اسرعت من مصر لنجدة طوسون فعاد الى الانتصار على
الوهابيين ، ودخل الى مكة وتسلم مقاليد الامور ومفاتيح الكعبة
والحجرة الكريمة فأرسلها الى ابيه الذي ارسلها بدوره الى السلطان مع
كتاب يشره بدخول الحرمين من جديد تحت طاعته ، ولكن جيوش
سعود لم تلبث ان ضربت الجيوش المصرية ضربة قاصمة عندما حاولت
ان تتعقبها في نجد ، فأسرع محمد علي الى الحجاز بشخصه وحج بيت
الله الحرام وأعد العدة لاستئناف الهجوم بعد اداء فريضة الحج ،
وأسرع القدر لنجدة وكان نجم محمد علي في هذه الفترة في صعود
فتوفي سعود الكبير فلم يعد الامر في حاجة الى بقاء محمد علي بنفسه .
تولى عبد الله بن سعود الكبير الامارة بعد ابيه ولكنه لم يكن في
قدرة ابيه او قوة شكيمته ولذلك فقد أثر ان يعقد مع طوسون هدنة ،
في وقت كان الجيش المصري في اشد الحاجة الى الراحة ، فكانت هذه
الهدنة على ما يقول بعض المؤرخين بمثابة نجدة الهية للجيش المصري
وتصرف غير حكيم لعبد الله .

وعاد طوسون بعد هذه الهدنة الى مصر حيث مات بها ، وارسل
محمد علي ابنه ابراهيم مع جيش جرار ، وهذا هو الجيش الذي سار
واخترق جزيرة العرب كلها حتى وصل الى الدرعية فحاصرها حصارا مرا
دام خمسة اشهر كاملة ، ثم لم يلبث ان أصلى الدرعية نارا حامية
فهدمها وخربها ، فخرج منها عبد الله بن سعود وسلم نفسه لابراهيم
حقنا لدماء الناس فبعث به معززا مكرما الى ابيه في مصر فأرسله ابوه
بدوره الى السلطان في الاستانة . ولكن السلطان كان اقل كرما ونبلا
من محمد علي فأمر باعدام عبد الله بن سعود وبتخريب الدرعية .

وبإعدام عبد الله بن سعود طويت صفحة السعوديين الذهبية والتي ظلت مطوية حتى ابتعثها عبد العزيز آل سعود فأعادها اشد ما تكون روعة وبهاء •

وان مطالع هذا التاريخ لا يلبث ان يخالطه الاسف الشديد بل والحزن العميق لوقوع هذه النكبة التي ادت الى اصطراع اخوين وشقيقين في الدين والله ، بل وفي النهضة • ما كان لحوج المسلمين الى سلامة العقيدة الوهابية وسيف الجيوش المصرية لاعادة تجديد شباب الاسلام ، بدلا من هذا الصراع الذي قضى عليهما كليهما ، فخرهما الاسلام معا • فمحمد علي لم يستطع ان يفيد من كفاحه وانتصاراته الرائعة ، لانه اسرف فيها من ناحية ، ولانه لم يحاول ان يعتمد على قوة الشعب الروحية من ناحية اخرى • فلو أنه عمد الى تخليص الدين من البدع والخرافات ، وطهر العقيدة الاسلامية مما غشيها من الفواشي ، وتأني ريشا ينشر العلم ويحارب الجهل ويرفع من كرامة الناس ، اذن لوصل الى نتائج افضل مما وصل اليها بسياسته العسكرية البحتة ، والتي انتهت بعد ثلاثين سنة بدون اي نتيجة تذكر لمصر او لمحمد علي او للمسلمين •

ولذلك فان الإنسان يشعر بالاسف والحسرة كما قدمنا ان صدع محمد علي بأوامر سلطان تركيا ، واصطدم بالسعوديين ، فلم يكسب من وراء ذلك شيئا ، وحرّم الجزيرة مصلحا كبيرا لو لم يبطش بقوته ، لواصلت جزيرة العرب نهضتها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم •

وثمة درس آخر يعجبني من الشيخ حافظ وهبه اشار اليه في كتابه ، وهو نعيه على سعود شدة سياسته وقسوتها وتعصبه ، لتنفيذ كل آرائه وافكاره ، كأنه يعيش في هذه الدنيا بمفرده ، متجاهلا ما في

هذا العالم من سياسات وتيارات وقوى خارجية ، وهو الدرس الذي وعاه عبد العزيز آل سعود ، فنجح في تحقيق ما لم يسبقه اليه سابق من آل سعود ، اذ لم يجعل التهور او التعصب او تجاهل حرية الآخرين وحقوقهم اساسا لسياسته في اي يوم من الايام ، ومن هنا كان نجاحه •



الفصل الثالث

تاريخ وآثار في الرياض

تركنا آل سعود وقد دالت دولتهم وانكسرت شوكتهم ، على أثر هذه الحروب التي دارت بينهم وبين الجيوش المصرية تلبية لأوامر سلطان تركيا وقتل عبدالله بن السعود . ولكن الصحراء كالبحر ، لا يدوم فيها النصر ، وانما الحرب فيها كر وفر ، ومد وجزر . ولذلك فقد استطاع امير من آل سعود اسمه : تركي ، أن يحتل الرياض وان يتخذها مقرا لآل سعود وسلطانهم . ولكن الضربة الشديدة التي أصابتهم لم تجعل ذلك بالمهمة السهلة او الممكنة . فقد ضاعت هذه الهمة التي كانت القبائل والاعراب تعنو لها ، فقامت كل قبيلة تنازع وتعارض معتمدة على التأييد والنفوذ يأتيانها مصر أو من تركيا . على ان علاج ذلك كان ممكنا لو لم يكن الضعف والانحلال قد دب في آل سعود انفسهم ، سنة الله في خلقه التي تجعل الجماعات تشقى وتسعد وتصح وتمرض وتقوى وتذبل ، فكان ان عدا مشاري بن سعود الكبير على تركي فاغتاله وهو قائم يصلي ليستولي على امارته ، فلم ينعم بهذه الامارة

التي اشتراها بثمان فاحش الا بعض الوقت ، ريشما عاد فيصل بن تركي من احدى غزواته فقتل مشاري وجلس على اماره ابيه . ولكن هذه الجريمة الجديدة وهذا التصدع في الاسرة الواحدة قد عجل بتدهورها وانحلالها فساعد على ظهور اسرة جديدة في نجد هي اسرة آل الرشيد ، وقد كانوا عمالا لآل سعود فلم يلبثوا ان تغلبوا على نجد وملكوا الرياض ، فاضطر عبد الرحمن بن فيصل ان يرحل من الرياض وأن يلجأ الى الكويت ، وهي اماره صغيرة على الخليج العربي. ولكن موقعها الجغرافي جعل لها خطراً كبيراً وزادها ما اكتشف فيها بعد ذلك من البترول خطراً على خطر حتى اصبحت الكويت احد المراكز العالمية التي تصطرع حولها السياسة العالمية . وفي هذا الجو وهذه البيئة ترعرع عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بطل الجزيرة اليوم .

عبد العزيز آل سعود :

وكتبت عن عبد العزيز آل سعود كتب كثيرة حديثة بمختلف اللغات، كما كتب عن كل اعلام العصر الحاضر كمصطفى كمال وموسوليني وهتلر . وكل هذه الكتب تبدأ الحديث عن ابن سعود بمغامرته التي تشبه ان تكون خرافية ، عندما سار مع اربعين من اتباعه ليسترد ملكه وملك آبائه ؛ وحتى الشيخ حافظ وهبه ، وهو من هو مكانة وقربا من ابن السعود ، عندما تحدث عن تاريخ ابن السعود في كتابه جزيرة العرب ، جعل هذه المغامرة مبدأ قصته . ولكن التاريخ المفصل كما رواه الاستاذ احمد عبد الغفور عطار في كتابه «صقر الجزيرة» يحدثنا ان هذه لم تكن مغامرة عبد العزيز الاولى لاسترداد الرياض بل لقد سبقتها محاولة عسكرية ضخمة لاستردادها فشلت ، الامر الذي يضاعف في أهمية محاولة عبد العزيز الثانية للنجاح بهذا القدر الضئيل من الاتباع حيث فشل الجيش الجرار . ونحن لا نظن ان الاستاذ عبد الغفور قد

جاء بهذا التفصيل الطويل الذي خالف فيه من سبقوه في الكتابة من
عندياته ولذلك فنحن نطمئن الى صحته (١) •

لا بد ان يكون عبد العزيز، كأي عبقرى موهوب قد ادرك درجة
النضج في سن مبكرة • ولا بد ان تاريخ اجداده العظام كان هو طعامه
وغذائه في طفولته، وكلما شب وكبر كان هو الوقود لشحن عزيمته •
حتى اذا بلغ سن الشباب اصبحت صفحات اجداده نارا تحترق في
عروقه وفي صدره وتدفعه للعمل لاستخلاص الرياض مرة اخرى ممن
غلب عليها وبعث هذا الملك الذي اندرس ، ملك آل سعود في طول
الجزيرة وعرضها •

وكان عبد العزيز آل سعود قد بلغ العشرين عندما استطاع ان
ينجح في اقناع ابيه المجرب المحنك ان الوقت قد حان للجهاد في سبيل
استرداد الرياض بمعاونة الامير مبارك الصباح امير الكويت الغني
القوي • وللامير مبارك مصلحة كبرى في ان يعود آل سعود الى
الرياض ليخلص بذلك من سلطان ابن الرشيد وشوكته التي بدأت تظل
هذا الجزء من شرق الجزيرة ، فضلا عن ان عودة آل سعود الى الرياض ،
بتأييده وتحت حمايته سيجعل منهم امراء تابعين لسلطانه ، وكان خلف
امير الكويت المياسة الانجليزية التي بدأت توطد صلاتها معه والتي
اصبح يهمها ويعنيها ان يتوى نفوذ حليفها وصديقها في داخل هذه
الجزيرة المغلقة عليها •

لكل هذه الاسباب مجتمعة وجد عبد العزيز لدى مبارك الصباح
أذنا صاغية عندما حدثه عن وجوب تجهيز حملة لفتح الرياض ، على ان

(١) اتيح لنا سؤال الشيخ حافظ وهبه في هذا الموضوع فاجابنا ان الحق
هو ما جاء في كتاب الاستاذ عبد الغفور •

تألف هذه الحملة من شعبتين احدهما جيش لجب كبير يقوم على رأسه مبارك الصباح نفسه ليصطدم بجيوش ابن الرشيد ، في الوقت الذي يسير فيه ابن السعود على رأس جيش من الف رجل ليستولي بهم على الرياض منتهزا تشاغل ابن الرشيد عنها •

وقد نفذ مبارك الصباح هذه الخطة كاملة فأعد جيشا كبيرا توجه به لحرب ابن الرشيد ، وجهاز ابن السعود بألف من الرجال الاشداء للمستعدين • وتمت الخطة في بادىء الامر بنجاح كبير فوصل ابن السعود الى مدينة الرياض ودخلها فاتحا غازيا مهللا مكبرا ، واستقبلته المدينة بالبشر والترحاب ، كيف لا وهو سليل هذه الاسرة المباركة التي جعلت يوما ما من الرياض والدرعية عاصمة لكل الجزيرة العربية ، ونعمت في ظلها نجد بالرفاهية والحضارة والامن والنظام • ولذلك كان ترحيب الرياض بابن السعود عظيما فدخلها في غير حرب وجلس على كرسي آباءه واجداده ، فهل انتهت القصة بهذه السهولة والبساطة ؟

الجواب : لا ، فقد كان القدر بخفي لابن السعود دخولا أروع للرياض لا يكون فيه مدينا بالفضل لاحد الا ايمانه بالله وشجاعة قلبه وقوة ساعده •

لقد حبطت خطة عبد العزى الاولى ورأى نفسه مضطرا للانسحاب من المدينة التي دخلها بدون حرب والتي هلت وكبرت لمقدمه • لقد دخل المدينة ، ولكن حصن المدينة لم يسلم له واستعصى عليه ، وعبثا حاول ابن السعود ان ينال منالا من حاميته ، وكيف ينال من هذه الجدران الضخمة وكل سلاحه سيف وخنجر وبندقية ! ومع ذلك فقد كان يستطيع ان يحمل حامية الحصن على الاستسلام نتيجة الحصار الطويل ، ولكن ما ان شرع يهيئ نفسه لشيء من ذلك حتى جاءت الاخبار بان ابن الرشيد قد هزم مبارك الصباح وجيشه الكبير هزيمة

منكرة ، وأنه في طريقه الان الى الرياض ليسحق هذا المغامر الصغير •
ولو وصل الى الرياض وابن السعود فيها ، لاصبح ابن السعود بين
شقي الرحي : بين هذه الحامية في داخل المدينة ، وهذه الجيوش الجرارة
من حولها ، فلا يبقى امامه الا ان يموت او يستسلم ليعود مرة اخرى
الى مهاوي العار والخزي اذا سمح له ابن الرشيد بالحياة •

وابن السعود وان كان في سن الشباب المبكر الذي يتسم بالطيش
والاندفاع والرغبة في الفدائية والتضحية ، وهو ما كان يمكن ان
يحملة على التثبت بالرياض والاستماتة فيها وليكن ما يكون ، ليس
مجرد شاب تسري عليه قواعد الشباب العادية ، انه عبقرى قد هيأته
الطبيعة ليلعب دورا كبيرا في حياة هذه الجزيرة ، ولذلك فقد آثر ان
ينسحب فائزا من الغنيمة بالاياب • فعاد الى الكويت لا نقول يجز
اذيال الخيبة فهو لم يصب بهزيمة عسكرية وقد حقق هدفه بدخول
الرياض ، فاذا كانت الخطة قد خابت فمن جراء هزيمة حليفه الكبير
عسكريا • ولذلك فان اليأس لم يتطرق الى قلبه لتحقيق امله في استرداد
الرياض ، بل على العكس لقد أكسبته هذه المحاولة الاولى تجربة واجترأ •
فلم يعد امتلاك الرياض حلما من الاحلام ولكنه كان حقيقة واقعة
لعدة شهور فالامر اذن لا يستدعي سوى تكرار المحاولة مع إحكام
الخطة هذه المرة • ولقد وضع ابن السعود خطته الثانية وانها تبدو
للوهلة الاولى خطة جنوبية ، وانها مغامرة شاب طائش اراد ان يموت في
سبيل استرداد ملك آباءه ، ولكنك لو أمعنت النظر في هذه الخطة
لوجدتها السبيل الوحيدة لنجاحه بعد أن فشل في خطته الاولى •

أسمعت عن قصة حصان طروادة عندما عجزت جيوش أغاممنون
ومن معه عن فتح طروادة ، وطال عليهم الامد والحرب سجال بينهم وبين
حماتها المغاور ، فلم يروا الا ان يستخدموا الحيلة لاقتناصها من الداخل

بعد ان تحطمت قواهم على اسوارها • فابتكروا هذه الخدعة المشهورة على ما تروي الاساطير ، وهي صنعهم هذا الحصان المعدني الضخم الذي حشوه بالجند والفرسان ثم تظاهروا بالهزيمة والانسحاب مخلفين هذا الحصان خلفهم فخرج أهل طروادة فرحين مبتهجين بانكسار خصومهم ، فوجدوا هذا الحصان الضخم فظنوه تمثالا او دمية من الدمي فعادوا به الى داخل مدينتهم كسلب من الاسلاب وغنيمة من الغنائم ورمزا لاتصارعهم العظيم على اعدائهم • فلما جن الليل وقد سكر فرسان طروادة من نشوة النصر فاستلقوا على أقيمتهم ، خرج الكمين من داخل الحصان فقتلوا الحراس وفتحوا الابواب ، وهكذا اسقطت طروادة من الداخل بخدعة وحيلة وهي التي لم تسقطها الجيوش الجرارة في الحرب المستعرة خلال السنوات الطوال •

هذه الاساطير والخرافات التي نطالعها وتتقبلها على انها لون من الوان الخيال لامتع الذهن المكدود بالحقائق والماديات ، لم يطالعها ابن السعود ولا يعرف من امرها شيئا ولكنه بدأ صفحة جديدة في حياة جزيرة العرب بمغامرة كهذه المغامرات التي لولا أن بطلها لا يزال حيا يرزق ، ولولا ان كثيرين من الذين شاهدها وعاصروها لا يزالون احياء يرزقون ، بل لولا ان رأيت بعيني رأسي آثارها قائمة ناطقة حتى الآن ، لما اعتبرتها الا اسطورة من الاساطير التي تحاك حول الابطال •

اربعون رجلا وثلاثون بندقية :

ماذا حدث في خطة ابن سعود الاولى ، ولماذا فشلت ؟ لقد سار الى الرياض فدخلها في غير عناء ، ولكن حصنها ذا الابراج الاربعة استعصى عليه ، فلم يستطع ان يستقر في المدينة • ليس المهم اذن ان يستولي ابن السعود على الرياض نفسها ، فهذه ليست هدفا عسكريا -

والاستيلاء عليها لا يقدم ولا يؤخر اذا ظل حصنها قائما . فيجب ان تدور الخطة الجديدة حول كيفية الاستيلاء على الحصن عنوة وهو امر يكاد يكون في حكم المستحيل بالنسبة لاسلحته البيضاء والخفيفة . وأدرك أن أخذه عن طريق الحصار الطويل غير ممكن كذلك ، لان ابن الرشيد لن يلبث ان يسرع بجيوشه لانقاذ حامية الحصن والقضاء على المهاجم . لم يبق اذن الا أن يستولي على هذا الحصن بالخدعة والحيلة لا بالقهر والقوة ، فاذا سقط الحصن كانت المدينة تحت امرة ابن السعود وهو محررها ومنقذها من طغيان حكم آل الرشيد ، وعاملهم على الرياض المسمى : عجلان ، ذلك الجبار المستبد الغشوم .

وطبيعة الخدعة والحيلة أن تتم في الخفاء لا في العلن . فأصبح من طبيعة خطة ابن السعود الجديدة أن لا يسير بجيش لجب كما فعل في الخطة الاولى ، وان لا يستعين بابن الصباح في تسير جيش آخر كبير على حصنه ، بل علبه ان يسير هو في خاصة من أصحابه لا يكاد يسمع بخبرهم انسان ، فاذا سمع لم يتصور انهم يقصدون الرياض فالرياض لا تفتح بأربعين يمتطون الجمال بعد ان عجزت الجيوش الجرارة عن اقتحامها .

وكانت هذه هي خطة ابن السعود عندما عرضها على ابن الصباح امير الكويت . لم يطلب منه سوى اقل العون فأمدته بمائتي ريال وثلاثين بندقية واربعين ذلولا وشيئا من الزاد ، وكانت هذه هي كل عدة ابن السعود في محاولته الثانية .

سار بخاصة آل بيته واصحابه وكانت عدتهم ستين ، لم يقل لهم بادىء الامر اين يذهب بهم والا وهنت عزائمهم ، ولم يكن يعرف مقصده الا بعض افراد قلائل ، وحتى هؤلاء لم يكونوا يعرفون ما هي خطته ، وماذا عساه يفعل ؟ وكل ما في الامر انهم بايعوه على السمع

والطاعة فهم معه حيث كان وأنى سار •

وبعد ان اوغل الجميع في الصحراء ، ادركوا انهم يتجهون صوب الرياض • ولكن ماذا عساهم فاعلين ؟ ها هوذا عبد العزيز يسير على رأسهم في ثقة وعزم واقدام ، فلم يبق الا ان يتابعوه والعربي بطبعه ليس جباناً ولا رعيديداً •

وكان عبد العزيز هو وحده الذي يعرف الخطة التي رسمها لنفسه • ان هدفه ان يستولي على الحصن وان يستولي عليه بالحيلة بعد ان يقتل اميره عجلان •

مهمته اذن ، تتلخص في قتل عجلان ، وهي مهمة لا تحتاج الى جيش كبير ، فقد عجز الجيش عن تحقيق هذه الغاية ، ولكنها تحتاج الى قلب كبير وخطة خفية محكمة • وهذا ما كان ابن السعود ينسج شبابه ورجاله يستحثون مطاياهم للاقترب من الرياض • وكانوا يسرون بالليل ويستخفون بالنهار حتى لا يكشف امرهم انسان ، حتى اذا كانت الليلة الرابعة من شهر شوال سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) اقترب ابن السعود والذين معه من الرياض ، ولم يبق بينهم وبينها الا مسيرة ساعتين فاختار لرجاله منزلاً اناخوا فيه مطاياهم • ثم تناولوا طعام العشاء في هدأة الليل وشربوا قهوتهم العربية ، حتى اذا اوشك الليل ان ينتصف اختار ابن السعود اربعين من رجاله على رأسهم شقيقه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي وهما من اشجع العرب واقواهم شكيمة ، وترك عند متاعهم عشرين رجلاً مدججين بالسلاح والعتاد استعداداً للطوارئ قائلًا لهم : اذا وصلكم نبأ انتصارنا فاقدموا على بركة الله ، اما اذا كانت الاخرى فكونوا رسل نعيي الى ابي واسلي وعشيرتي !

ولسنا في حاجة الى كبير خيال لتصور ماذا كان يدور في نفوس القوم في هذه اللحظة وهم يفترقون ، ولسنا في حاجة الى بيان لتصوير

ما كانت عليه اعصابهم من توتر ، ولو قلنا ان قلوبهم كانت توشك ان تقف في هذا الوقت من لحظة لآخرى لما كنا مبالغين .

اقترب ابن السعود من المدينة ... انها تغط في سبات عميق ، كأي بلدة من بلاد الصحراء بعيدة عن مفاصد المدن ، ولم يكن يسمع في هدأة الليل الا هذه النواير (السواقي) التي لا تكف عن الغناء والتطريب بالليل والنهار . واقترب ابن السعود اكثر واكثر حتى اصبح بالقرب من اسوار البلدة ، فهل كان يعرف الاربعون الذين اقتربوا من هذه الاسوار ما هو عملهم بالضبط ؟ لا ، ان الوقت لم يكن بعد . لقد عاد ابن السعود لقسمه رجاله فأبقى خارج الاسوار ثلاثة وثلاثين من رجاله . واختار سبعة ليصحبوه في المرحلة الاخيرة من مغامرته ، او المرحلة الاولى اذا شئت ، وكان من بين هؤلاء السبعة شقيقه وابن عمه بطبيعة الحال . وتخطى هؤلاء السبعة الاسوار دون ان يشيروا شبهة او ريبة ، واقتربوا من بيت فلاح من سكان الرياض اسمه جوهر فطرقوا بابه ففتح لهم ، ولم يكده صاحب الدار يعرف من الطارق حتى كاد يجن من الفرح والدهشة في ذات الوقت ، فهذا عبد العزيز آل سعود يطرق بيته في منتصف الليل ، ولكن الوقت لم يكن وقت ضيافة او دهشة او فرح ، انها خطة محكمة يتوقف على نجاحها تبوء عبد العزيز ملك آبائه واجداده ، ويترتب على فشلها ضياع حياته . ولذلك فقد وضع رب البيت وكل من في البيت في احدى حجرات البيت وطلب منهم ان يصمتوا ولا يتحركوا او يحدثوا حدثا ، وتوعدهم بالموت اذا خالفوا أوامره ، ولم يكونوا في حاجة الى هذا التهديد فهم له سامعون ومطيعون .

الخطبة :

وبدا ابن السعود يشرح خطته في صوت خافت لهذه العصابة من

الرجال معه : ان عجلان مولى آل الرشيد وامير الرياض يقيم في الحصن في أغلب الاوقات ، ولكنه متزوج بامرأة من الرياض تقيم في بيت يجاور هذا البيت الذي يكمن فيه الآن ابن السعود ومن معه ، فلو استطاعوا ان يتسللوا الى بيت زوجة عجلان في هدأة الليل اذن لقتلوه على فراشه ، وانتظروا حتى يطلع الصباح ويفتح الحصن ابوابه ، وهو في مواجهة الدار التي يكمنون بها ، فيقتحمونه على غرة من الحرس الذين ستذهلهم المفاجأة فلا يستطيعون عن انفسهم دفاعا •

هذه هي الخطة كما رسمها ابن السعود في رأسه قبل ان يغادروا الكويت • بسيطة كل البساطة ، وتؤدي في حالة نجاحها الى امتلاك الرياض وحصنها ولكن لا بد لنجاحها من شيء واحد وهو توفيق الله ، فاذا منحوا هذا التوفيق ، سقطت الرياض في ايديهم ، واذا تخلى عنهم التوفيق سقطت رؤوسهم من فوق اكتافهم ، وهذه هي المغامرة • وهل تمت عظام الاعمال الا من خلال المغامرة والمجازفة ؟

تسلل ابن السعود وعصبته من بيت جوهر الى البيت المجاور فوجد به شخصين يغطان في سبات عميق فلفهما في فراشهما ، ووضع الى جوارهما من يضمن سكوتهما حتى الصباح ، ثم نفذ الى بيت امرأة عجلان بعد ان كان قد ارسل من يحضر بقية الرجال الاربعة ، فجاءوا خفافا لا يسمع لهم صوت ، وتكامل الاربعة رجالا وعلى رأسهم هذا المارد الجبار في فناء بيت عجلان ، وقد كان السكون يسيطر على المكان في عمق ، ولم يكن يفصلهم عن هدفهم الا هذا الباب المغلق ، الذي لا بدوان يكون وراءه عجلان وامرأته يغطان في سباتهما العميق ، والا لشعرا بصوت الاربعة رجالا في فناء بيته حتى ولو كانوا من الاشباح غير الآدمية ، وفتح ابن السعود الباب فألقى على الفراش شخصين كما توقع ولكنهما لم يكونا عجلان وامرأته بل امرأة عجلان واختها •

واقترب منها ابن السعود فأيقظها برفق ولعلها هتفت به في ذلك الوقت مذعورة : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، ولكن ابن السعود لم يلبث ان عاجلها بالسؤال عن زوجها ، وادركت المرأة في لحظة عين كل شيء . • فهذا عبد العزيز آل سعود يبحث عن زوجها لقتله • ويروي الاستاذ احمد عبد الغفور عطار في كتابه « صقر الجزيرة » الذي روى هذه القصة مفصلة نقلا عن الثقات بطبيعة الحال وأقرب المقربين من ابن السعود • ان المرأة اسرعت الى الانضمام الى ابن السعود اخلاصا له • ونقول نحن ان ذلك موقف لا سبيل فيه ل اظهار الاخلاص او عدمه ، فلم يكن للمرأة خيار وقد كان السيف على رأسها •

اعاد عليها ابن السعود السؤال وقد هدا من روعها سائلا عن زوجها ، فأجابته انه قد بات هذه الليلة في الحصن • أيكون التوفيق قد اخطأهم وأفلت الطير من الفخ •؟ قالت له المرأة تحت ضغط اسئلته والحاحه : انه سيجيء اليها في الصباح المبكر • ومن يضمن بقاء السر مكتوما حتى الصباح ؟ • ومن يضمن ان لا تبدو حركة هنا او هناك فينفضح كل شيء ؟ ومع ذلك فلم يكن هناك مجال للتردد او التراجع ، ولم يبق امام القوم الا ان ينتظروا وان يصبروا حتى مطلع الفجر •

ويكتب لنا الاستاذ عبد الغفور صفحات شعرية طويلة واصفا حالة القوم في هذه اللحظات الحرجة ، وبأي حديث كان يناجيهم ابن السعود ليثبت اقدامهم ، وكيف قام يصنع لهم القهوة بنفسه ويقدم لهم الطعام وكل ذلك جائز ومعقول ، ولكن الذي احسب ان خيال اديب الحجاز قد شط فيه هو قوله ان ابن السعود قد نام هو ورجاله •

« تناول هؤلاء الابطال طعامهم وشرابهم ، واخذوا مضاجعهم يريحون جنوبهم وقلوبهم يستجمعون القوى والنشاط استعدادا

للمجازفة بأئمن ما لديهم - ولدى الناس - بأعمارهم ، بحياتهم ..
انها رهينة هذه المجازفة .

فلندعهم نأمن ريشا يوقظهم الفجر » .

ثم راح الاستاذ عبد الغفور يعلق على هذا الموقف ما شاء له الله
ان يقول في وصف البطولة التي لا مثل لها ثم عاد ليقول :

« اعلن المؤذن لصلاة الفجر يقطع بصوته الجهوري صمت الليل .
يهيب بالناس ان الصلاة خير من النوم . فاستيقظ عبد العزيز وبنه رجاله
لاداء فرائض الله » .

وفحن نقول للاستاذ عبد الغفور ان لو كانت هذه ليلة ، وكان هذا
موقفا ، مما ينام فيه ابن السعود ، فالأحرى به ان لا يعد في زمرة اتفه
الجنود شأنا فضلا عن ان يعد في صفوف الابطال .

أيام ابن السعود وهو في بيت عدوه وفي ظلال حصنه ، وقد
تؤدي غلطة واحدة بل قد يؤدي ارتفاع شخير رجاله الى كشف السر
وضياع حياتهم بل وضياح آمالهم ؟ وكيف ينام من يترصد خصمه
ليقتله ؟ وكيف ينام من يريد ان يبني ملكا بضربة واحدة من ساعده ؟
وكيف ينام عبد العزيز في هذه الليلة وقد اصبح بينه وبين المجد او
القبر سد اوهى من العنكبوت ؟ لا يا سيد عبد الغفور ! لقد جمع بك
الخيال فصورت شيئا مستحيلا على العلم والعقل في مثل هذه الظروف .
وحتى لو قيلت لك هذه الرواية لوجب ان تستبعدوها ، ولو قالها
عبد العزيز آل سعود نفسه لناقشته فيها ولما صدقته الا ان يقول لي :
لقد اوقف على رأسه رجاله الاشداء ليحرسوه وليوقظوه لدى اول
حركة ، اما ان يقال ان صوت المؤذن هو الذي ايقظه وانه دار يوقظ
رجالها ، فهذا عمل لو صح لما كان بطولة ولما استحق عبد العزيز ان
يكون كما كان .

٤ سؤال :

فتح حارس الحصن خوذة الباب الكبير، فان سيده قد صلى الفجر وحان موعد ذهابه لزوجته لتناول طعام الافطار معها بعد ان يلقي نظرة على خيوله الكريمة الاصيلية ، والتي يطرب كل فارس لمراآها وتمهدها .
 وخرج عجلان من خوذة الباب وهي مرتفعة عن الارض بمقدار متر فليس اجتيازها بالامر السهل ، ونفذ عجلان الى هذه الساحة امام الحصن ، وراح يستنشق نسيم الصباح ويتلفت فيما حوله وسار بضع خطوات في طريقه الى مربض الخيول وبیت زوجته . ولكن احساسا غريبا قد غمره فجعله يتوقف في منتصف الطريق ثم يتلفت حوله في استرابة ، ثم لا يلبث ان يعود منشيا الى الحصن في خطوات مسرعة بعض الشيء . هل رأى شيئا ؟ هل سمع شيئا ؟ هل لاحظ شيئا غير عادي ؟ ان عجلان لم يعيش حتى يروي لنا ماذا حدث ، فان الذي قص القصة هم الذين قتلوه ، والذين شاهدوه يقوم بهذه الحركة فأسرعوا خلفه ليقتلوه قبل ان يدخل الحصن فيتقرر مصيرهم . وقد يكون عجلان قد لاحظ شيئا غير عادي ، ولكن الذي لا شك فيه ان الكائن الحي اذا اقترب من الخطر الداهم شعر باحساس غير عادي ، وقد يمر به فلا يفهمه فيتردى في الخطر ، وقد يكون من توفيق الله له ان يثنيه عن الخطر .

لقد كان ابن السعود يقف خلف باب عجلان مصلتا سيفه ، وخلفه اربعون رجلا ليجهزوا على عجلان بمجرد ان يفتح الباب ، فاذا لم يكن كل ذلك بالذي يحمل الى عجلان شيئا من الاحساس والشعور بالخطر اذا اقترب من هذا الباب ، فلن يكون في الحياة كلها شيء اسمه غريزة البقاء او روح وقوى روحية وقوى مغناطيسية ، ولن يكون في هذه الحياة شيء اسمه الهام ، بل لن يكون فيها سر غامض عميق لهذا الذي نحسه جميعا ونشعر به .

كيفما كان الامر فقد اجمع كل من اشترك في الحادث ، ان
عجلان خرج من خوذة الحصن سادرا لاهيا لا يبدو عليه انه يحس
بأي امر غير عادي ، وانه قصد بيت زوجته ، حتى اذا كان في منتصف
الطريق اذا به يتوقف ثم يتردد ، ثم يدير ظهره ويتجه صوب الحصن
بخطى خفيفة . وكان على ابن السعود ان يدرك خصمه قبل ان
يدخل مرة اخرى ويضيع امله الى الابد . وقد كان ، فقد خرج ابن
السعود شاهرا سيفه يعدو وراء عجلان ومن ورائه شقيقه وابن عمه .
وسمع عجلان الصوت ورأى الموت . وهكذا تجسد له ما كان يختلج
في نفسه من غموض وابهام . فأسرع يجري وكل همه ان ينفذ مرة
اخرى من خوذة الحصن ثم يبحث عن جلية الامر .

ولكن متعقبيه كانوا اكثر شعورا منه بالخطر فيما لو افلت منهم فكان
انقضاضهم عليه اسرع من فراره ، ومع ذلك فلولا هذه الخوذة اللينة لما امكنهم
ان يدركوه بأي حال من الاحوال فلا سبيل لاجتيازها والانسان يعدو
ابدا ، الا ان يحاول ان يدخل برأسه اولا ثم يفرد جسده ، ويحاول
ان يقذف بنفسه قذفا الى الداخل . وهذا ما فعله عجلان فضاعت
سرعته ووضع نفسه في وضع جعله فريسة سهلة هيئة ، فقد ادركه
ابن السعود او بالاحرى ادرك قدميه فأمسك بهما وراح يجذبه الى
الخارج ليحول بينه وبين الدخول . وبينما هما في هذا التجاذب ،
كان عبد الله بن جلوي ابن عم عبد العزيز قد لحق بهما فقذف
بحريته ليطن بها ظهر عجلان الممدود امامه ، ولكن الضربة طاشت
فانفرست الحربة في خشب الباب السميكة ، فلما حاول ان ينزع
الحربة بغضب تكسر سننها وظل عالقا بالباب . ولكن ذلك كله كان
قد أورث عجلان وقتا وقوة فاستطاع ان يخلص نفسه من ابن السعود
وان ينفذ الى داخل الحصن ، ولكن ابن السعود كان في اعقابيه
وعبد الله بن جلوي في اعقابهما ، واصبحت المسألة الآن مسألة ثوان

والويل لمن يخطئه التوفيق . لقد تنبه كل من في الحصن لما حدث ، وقد اسرع بقية رجال ابن السعود في آثاره ، فشاهدتهم جنود عجلان من أبراج الحصن ، فراحوا يطلقون عليهم الرصاص وهم محصنون في أبراجهم والآخرين مكشوفون في الساحة وعرضة للأجهاز عليهم ، فلم يكن امامهم الا ان يسرعوا الى داخل الحصن من هذه الخوخة المفتوحة ، والتي مرق منها عجلان وابن السعود فكان اندفاعهم اليها على أثرهما حائلا دون تمكن الحارس الذي اذهلته المباغتة من اعلاقتها . اما ماذا حدث في هذه اللحظات الرهيبة في داخل الحصن فيتلخص في اطلاق عبد الله بن جلوي (طبنجته) على عجلان بمجرد دخوله من الخوخة ، وفي هذه المرة لم يخطئه الطلق فسقط الرجل يتشحط في دمه ، وهتف ابن السعود ومن معه : الله اكبر .

لم يكن التغلب بعد ذلك على حامية الحصن بالامر الصعب ، فان هول المباغتة دائما يشل الاعصاب ويفقد الصواب ، وما هم اولا . ولما يكد النهار يطلع يقتل امامهم اميرهم ، ويندفع الى داخل الحصن اربعون رجلا جعلتهم المغامرة ، وما يحيط بهم من خطر داهم كأنهم نار جائحة او اعصار مدمر . ولا شك ان عددهم تجلّى في نظر حامية الحصن اضعاف اضعاف حقيقتهم ، وقد وجدوهم يخرجون سراعا من هذا البيت في مقابلة الحصن . ومن يدري انهم ليسوا طليعة الجيش الكبير الذي سيبدو على آثارهم ؟ كل ذلك جعل مهمة التغلب عليهم سهلة هينة ، ورفض عشرون منهم ان يستسلموا فتحصنوا في احد الابراج ، ثم لم يلبث القوم أن تغلبوا عليهم فضربوا اعناقهم في احدى القاعات فسال دمهم غزيرا من السقف وانحدر على الجدار .

وراح الدليل يرينا آثار هذه المعركة ويصورها لنا . هذه هي دماء الحرس الذين اعدموا وقد تجمدت على الجدران ، ونظرنا الى حيث

أشار الدليل الى السقف فوجدنا آثارا سوداً هي آثار الدماء عندما تمضي عليها الايام والسنون .

وهذه هي خوخة الباب التي دار حولها الصراع في اول مراحلها . وهذه هي بقية خربة ابن جلوي لا تزال غائصة في خشب الباب ، لقد علاها الصدأ ولكنها ما تزال هناك شاهدة على هذه الملحمة وعلى هذه الضربة الطائشة ، والتي كان يمكن ان تؤدي الى هلاك ابن السعود ومن معه وحرمان الجزيرة من كل تاريخها الحديث . ولكن ضربة ابن جلوي الثانية قد انقذت الموقف وحقت ارادة التاريخ . ها هي ذي آثار الاعيرة النارية التي أطلقها لا تزال على الجدران . ما اروع الآثار التاريخية الصادقة . انها تبقي الحوادث حية لا مجال فيها لاعمال الخيال، فلو قيلت لي هذه القصة التي سردتها دون ان ارى ما رأيت لتصورتها خرافة من الخرافات ، ولكن ها هو ذا كل شيء يؤكد انها حق وحقيقة . وسألت الدليل ونحن وقوف في الساحة خارج الحصن : واين بيت عجلان الذي اختفى فيه ابن السعود ؟ فأجابني : لا بد انه كان في هذا المكان ، ثم هدم واصبح جزءا من هذه الساحة . ما اعجب هؤلاء القوم ! انهم لا يؤمنون بشيء اسمه آثار يحافظ عليها ، ولولا ان هذا الحصن لا يزال قائما ينتفع به كسجن لهدم منذ زمن بعيد ، ولما ظل محتفظا بهذه الآثار ، كيف يهدم بيت عجلان وبيت الفلاح المجاور له ، وقد كان الواجب ان يبقيا ليرى كل انسان كافة اجزاء المسرح الذي تمت عليه هذه الرواية العجيبة .



الفصل الرابع

ابن السَّعود يبدأ ملكه

كان تعليق ابن الرشيد سيد نجد عندما سمع باحتلال ابن السَّعود للرياض بهذه المؤامرة التي وصفناها : انه لو نقض عباة لفر ابن السَّعود مذعورا من الرياض ، وما هو الا أرنب في جحر يستطيع ان يقبض عليه حيث شاء وأنى أراد . وقد كان ابن الرشيد محقا في هذا التصور كل الحق . ألم ينسحب ابن السَّعود من الرياض ومعه جيش من الف رجل عندما علم بمسير ابن الرشيد اليه ؟ فماذا عساه يفعل اليوم بدون جيش اطلاقا ؟

ومع ذلك فان ابن الرشيد لم يفكر في الهجوم على ابن السَّعود احتقارا لشأئه من ناحية ، وخوفا من المباغة من ناحية اخرى ، فقد كان يخشى أن يكون في الامر كمين فلم يدخل في عقله ان ابن السَّعود يجازف هذه المجازفة ، وهو لا يملك من الامر شيئا ، ولا بد ان هذه مناورة يراد منها ان يتجه ابن الرشيد الى الرياض بجيشه ، فلا يلبث مبارك الصباح ان يباغت حائل بجيشه ، واذن فالقضية ليست قضية

ابن السعود وانما هي قضية مبارك بن الصباح امير الكويت والذي ما فتئت نفسه تحدثه بفرض سلطانه على شرقي نجد . وراح ابن الرشيد يرسل الاتراك ليسانعده على غزو الكويت التي دخلت تحت حماية الانجليز ، وأضاع في هذه المراسلات وقتا ثميننا استغله ابن السعود في توطيد مركزه في الرياض والقبائل المحيطة بها ، فلما ان جاء أوان اصطدام ابن الرشيد بابن السعود كانت الفرصة قد افلتت منه ، وكان ابن السعود قد اصبح عصيا بل اصبح ندا لابن الرشيد ويمتاز عنه بخلائقه التي حبيت اليه الناس وجمعت حوله القلوب . وكانت معارك بين الرجلين انتهت بهزيمة ابن الرشيد في سلسلة من المعارك أطلق عليها معركة البكيرية ، وغنم ابن السعود اسلحة ابن الرشيد فزاد ذلك من قوته. وفي روضة مينا ظفر جيش ابن السعود بابن الرشيد فقتله ، ولم يسمع آل الرشيد الا ان يعقدوا الصلح مع ابن السعود ثم شاءت السياسة ان تؤلبهم بعد ذلك عليه ، وظلت الحرب بينهم سجالا حتى انتهى الامر بان نزلوا عند حكمه ، فدخل ابن السعود مدينة حائل قاعدة اماره آل الرشيد سنة ١٣٣٨ هـ . ونزل أمراء آل الرشيد ضيوفا مكرمين عند ابن السعود يؤلفون بعض بطائنه وحاشيته ولا يزالون عنده حتى الآن يعاملون كما يعامل بقية الامراء من آل سعود .

وفي سنة ١٣٣١ هـ فتح الاحساء وضمها الى نجد ثم كانت الحرب العالمية الاولى فوقف ابن السعود في انتظار نتيجتها ، بعد ان عقد معاهدة مع الانجليز سنة ١٩١٦ م . فلما انتهت الحرب العالمية الاولى وخرج منها الشريف حسين يعتبر نفسه ملكا على العرب حدث الاصطدام بينه وبين ابن السعود الذي لم يعترف له بهذا الملك ، فكانت سلسلة اخرى من الوقائع التي بدأت في سنة ١٣٣٧ هـ (١٩٢٠ م) في بلدة تربة التي تنازع عليها الرجلان ، وهل هي من الحجاز او من اعمال نجد ،

وقد هزم فيها جيش الحسين برئاسة ابنه المرحوم عبدالله (ملك شرق الاردن) هزيمة منكرة اذ مات فيها خمسة آلاف من خيرة جنود الجيش وخسر فيها كل اسلحته التي زوده بها الانجليز والتي حارب بها الاتراك او غنمها منهم ، وفر الملك عبد الله ناجيا بجلده من هذه المعركة، ولولا تدخل الانجليز لصالح الملك حسين لاستطاع ابن السعود ان يفتح الحجاز في هذه السنة ، ولكن ابن السعود الداهية الاريب الذي يعرف كيف يصبر ومتى ينفذ خطته وكيف لا يبدأ احدا بعدوان ولا يسمح للاجانب بالتدخل في شئون العرب عاد بجيوشه في هذه السنة تاركا الحجاز وشأنه .

الملك حسين وابن السعود :

وكان الملك حسين مضى في خصومته لابن السعود ، لان الجزيرة لم تكن تحتل سيدين في آن واحد ، فراح يمنع حجاج نجد من دخول بيت الله الحرام . وظلت الامور تسوء بين الملك حسين وبين ابن السعود اكثر واكثر ، في الوقت الذي كانت تسوء فيه مع الانجليز من ناحية اخرى ، حيث كان بطالهم بتنفيذ عهودهم التي عاهدوه عليها في اثناء الحرب من توليته امبراطورا على بلاد العرب كلها بما فيها فلسطين وسوريا . فكان اول النكت اعطاؤهم سوريا لفرنسا واستيلاؤهم على فلسطين ومنحهم اياها لليهود في صورة وطن قومي في بادىء الامر . ووجد الملك حسين نفسه مضطرا لمخاصمة الانجليز والتنديد بسياساتهم . فعل ذلك ، في نفس الوقت الذي كان يضايق فيه النجديين ويحول بينهم وبين الحج ، ويؤلب على ابن السعود سائر قبائل الجزيرة كابن الرشيد قبل ان يستسلم . فلم يسع ابن السعود الا ان بغتتم هذه الفرصة ويعيث بجيوشه صوب الحجاز فاتحة غازية . فكان سقوط الطائف على ما وصفنا سابقا وتلاه احتلال مكة وتنازل الحسين عن الملك لابنه علي

الذي ألف حكومة جديدة راحت تواصل المقاومة في مدينة جدة بصورة عقيمة حتى اذا كانت سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) لم يسع علي بن الحسين الا ان يتنازل عن الملك وان يفسح الطريق لابن السعود الذي دخل جدة صباح الخميس ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ (٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م) وبذلك اصبح سيد الحجاز كما هو سيد نجد ، وبذلك دانت له الجزيرة العربية كلها باستثناء اليمن في طرفها الجنوبي الغربي والمحميات السبع التي فرض الانجليز حمايتهم عليها من قبل ، وقد اتحت الفرصة لابن السعود ان يضم اليمن الى سلطانه ، ولكنه ارجع جيوشه عنها بعد ان كادت ان تدهم عاصمتها ، وذلك نزولا عند وساطة المسلمين في الظاهر وخوفا من التدخل الاجنبي في الباطن ، وليس هناك ما يخشاه ابن السعود وما عمل طول عمره جاهدا لتفاديه ، اكثر من تدخل قوى الاستعمار الاجنبي في جزيرة العرب •

ويتربع ابن السعود اليوم على ملك الجزيرة بأقوى مما اتيح لواحد من اسلافه او غير اسلافه ، وقد مرق من حربين عالميتين مروق السهم ، فحافظ فيهما على حياده الدقيق فلم يزج بنفسه في مغامرات طمعا في توسيع رقعة ملكه هنا او هناك • فالرجل الحصيف يدرك انه ما بقي في داخل جزيرة العرب فهو الحاكم المسيطر على كل الظروف والعناصر ، اما اذا امتد به الطمع الى خارج حدود الجزيرة ، فهنا يكون الاصطدام بقوى الغرب المتألب ، وهنا يكون الفشل والخذلان اللذين اصيب بهما اجداده الاقدمون ، ولذلك فقد لاذ الرجل بالحكمة فأصبح شعاره جزيرة العرب لا شبر زيادة عليها ولا شبر ينقص منها • وليس هناك

من يستطيع ان يداني ابن السعود في هذا النجاح الذي احرزه ، ليس فقط في الوصول الى ما وصل اليه ، بل في المحافظة على ما وصل اليه وسط زعازع العالم وأعاصيره التي لم تنج من ويلاتها امم عظيمة ضخمة كالامان والطيان واليابان • وكادت تفقد فيها استقلالها الى الابد امة مجاورة له كايران •



الفصل الخامس

معرفة الوثيقة بابن السَّعود

- ١ -

هذا ما يقوله التاريخ عن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي اشتهر باسم « ابن السعود » . والآذ فلأنتقل الى تجربتي الشخصية معه ، فعندما ذهبت لحج بيت الله الحرام عام ١٩٣٤ ميلادية او بالاحرى في أوائل ذي الحجة من عام ١٣٥٣ هجرية كانت شهرة ابن السعود قد سبقته الى اعتباره الرجل الذي آمن الحج الى بيت الله الحرام بما لم يسبق له مثيل بعد ان كان الحج الى بيت الله الحرام يساوي رحلة الذهاب اليها مفقود والعائد منها مولود وكان المسلمون الذاهبون الى الحج يتوقعون الاستشهاد وبعدون له العدة قبل سفرهم ، ومن ناحية اخرى فقد كان الحاج يأخذ معه كل زاده وزواده ، ليس فقط لمأكله هو بل لمأكل الجمل الذي حمله في رحلة الحج والتي كانت تستغرق بضعة شهور ، وقد حدثنا آباؤنا واجدادنا عن الهول الذي كانوا يلقونه إبان الحج ، والشيء المحقق ان حكومة مصر منذ عدة

قرون كانت تجهز للحج حملة عسكرية في كل عام ، وكان امير الحج يعتبر اكبر قائد عسكري في مصر بعد السلطان عندما كانت مصر مستقلة وبعد الحاكم بعد ان فقدت مصر استقلالها •

ولقد عشت طوال صباي اشهد في كل عام استعراض الجيش المصري قبل سفره الى الحج وبعد عودته منه ، وكان واسطة العقد في موكب الجيش ما كانوا يطلقون عليه اسم « المحمل » وهو هودج محمول على جملين • وقد ظل هذا التقليد متبعا الى ان ألغاه ابن السعود اذ لم تعد هناك حاجة اليه بعد استتباب الامن ، ولو ان منع « المحمل » لم يمنع من السفر حسب التقليد المتبع كل عام الا بعد ان وقع حادث كادت تزهق فيه مئات الارواح لولا حكمة ابن السعود • فقد اعتبرت قبائل « الاخوان » وهم جيش الملك عبد العزيز الذي فتح به الحجاز، اعتبروا المحمل « وثنا » واعتبروا عزف موسيقى الجيش التي راحت تعزف في « منى » جريا على عاداتها احتفالا بالعيد ، اعتبروا ذلك كله « رجسا » من عمل الشيطان وهموا باستخدام القوة لتحطيم الموسيقى والعازفين الكفار وكذلك تحطيم هذا الصنم المسمى بالمحمل ، واطلقت الاغيرة النارية ، وكادت تقع الواقعة لولا ان اسرع ابن السعود فوقف بنفسه وأولاده بين الفريقين ، ولولا هذه الفعلة الشجاعة الفدائية ، لما علم سوى الله ماذا كان يمكن ان يقع • وقد ترتب على هذه الفعلة ان اوقفت مصر ارسال « المحمل » كما اوقفت ما جرت به العادة من اموال ينفق منها على الحرمين ، والصدقات الجارية ، ثم تم الصلح بعد ذلك على ان تتوقف مصر عن ارسال الجيش المصري ، بعد ان لم يعد هناك موجب لارساله •

في ظل هذا الوفاق الجديد سافرت للحج اول مرة ، واصدءاء هذا الحادث الذي أشرت اليه لا تزال تتردد والاحاث تترى عن هذا الأمان

العجيب الذي اصبح يسيطر على شبه جزيرة العرب بعامة وعلى طريق الحج بخاصة ، وكانت حكايات لا تكاد تصدق . فقد كان الحاج يذبح كما تذبح الشاة على مرأى ومسمع من الناس فلا يستطيع احد ان ينبس بينت شفة الا اذا اراد ان يلحق به . وكثيرا ما كان الحاج يقتل لسرقة ما معه ، وحينما يكتشف القاتل ان القتييل لا يملك اكثر من « ريال » ويعاتب لقتله مسلما مؤمنا من اجل ريال ، كان جوابه « الريال » احسن منه . وكان للبدو منطق ظريف جدا لتبرير ما يرتكبونه وهو ان الحجاج وكل ما يملكونه ليسوا الا رزقا حلالا ساقه الله للبدو والاعراب ، فهم الزرع ومن حق البدو ان يفعلوا ما يشاءون بهذا الرزق الذي يسوقه الله اليهم ، وهم ما كانوا ليتوقعوا عن الاجهاز على الحجاج الا لانهم يدفعون حق الطريق . فكل قبيلة تتقاضى ثمن حماية الحجاج في منطقة نفوذها ، ولم يجرب احد ان لا يدفع .

والحديث يطول ومن اراد معرفة ما كان يحدث فما عليه الا ان يطالع احد الكتب القديمة مثل « مرآة الحرمين » . وفي مقابل هذه الحكايات ، اصبحنا نسمع عن الحاج الذي سقطت منه حقيبة نقوده ، على الطريق العام ، فظلت حيث هي عدة ايام بلياليها حتى جاء صاحبها والتقطها بنفسه لأن احدا لم يكن يجسر على الاقتراب منها ومعرفة اي شيء هي حتى لا يقع في محذور . فقد روي لنا فيما روي ان بعض الناس ابلغ عن وجود (كيس) به بلع في عرض الطريق فعرض نفسه لكثير من المتاعب : فمن اين له معرفة ان الكيس يحتوي بلعا ، وقد اتيج لي انا شخصا ان اختبر ذلك كله بنفسي مما فصلته في كتابي « مشاهداتي في جزيرة العرب » اذ اخترقت الجزيرة من مغربها الى مشرقها ، والمهم انني عندما قمت بحجتي الاولى عام ١٩٣٤ لم يطف لي في خيال ان هذا الرجل العظيم سوف يلتقطني بفراسته من وسط مئات

الالوف من الحجاج ، وانه ستنشأ بيننا معرفة حتى آخر يوم في حياته،
وأنة سيكون لعطفه علي وتشجيعه المتواصل اكبر الاثر على استمراري
في الكفاح ، وفي ثقافتني الاسلامية ، واذا كنت بعون من الله
اشتغل الآن بتفسير القرآن فبفضل من هذه الكتب الاسلامية الثمينة
التي وهبني اياها ، فكانت هي النواة التي بنيت عليها مكتبتني •

ولكن لنبدأ القصة من أولها وكيف تعرفت اول ما تعرفت الى
الرجل العظيم « صقر الجزيرة » •

- ٢ -

عندما توجهت لحج بيت الله الحرام عام ١٩٣٤ كان الملك ابن
السعود قريب عهد باعلان المملكة العربية السعودية (١٩٣٢) وكان
ذلك يعني استقراره نهائيا على شبه جزيرة العرب التي توشك ان تبلغ
مساحتها الجزء الاكبر من اوربا ، وذلك باستثناء اليمن والمحميات
البريطانية •

على ان هذا الملك الجديد لم يشأ ان يغير شيئا من عاداته البدوية
منذ استرد الرياض ، وهي ان يجلس للناس طوال اليوم لا يرد عن بابه
احدا ، وباستطاعة اي فرد من رعيته ان يدخل عليه ما دام كان جالسا •

وعلى الرغم من تسمية ابن سعود بالملك ، وما كانت تفرضه
عليه الاوضاع الخاصة في الحجاز ، فقد ظلت التقاليد الراسخة هي
التقاليد ، فلم يكن يطلق عليه اسم الملك سوى المصريين والحجاج من
غير اهل البلاد • اما عند النجديين فقد بقي « الشيوخ » اشارة الى ان
مجلسه هو مجلس الشيوخ •

ولكن عند الحجاج وبخاصة المصريين منهم ، او بالاحرى كبار المصريين،

فان السعود ملك لا يقابله من هب ودب ، وقد كنت انا فيا يبدو (من هب ودب) اذ راح الباشوات يتهامون حول ذهابهم لمقابلة « جلالة الملك » فلما علمت نبأ الزيارة طلبت اليهم ان يصحبوني معهم فكادوا يعتذرون لان مقابلة « الملوك » ليست لأمثالي من الشباب الثائرين ولولا انه كان في هذا النفر رجل طيب وهو المرحوم سيد باشا خشبة لما أخذوني معهم ولضاعت مني هذه الفرصة الذهبية ، التي كانت فاتحة خير الى ما شاء الله .

في حضرة الشيوخ :

قادونا في سيارة الى قصر الملك ، وكان يقع خارج مكة ، اما اليوم فالعمران اصبح ممتدا اليه ، ودخلنا في قاعة فسيحة ، جلس الملك في ركن منها فوق احدى الأرائك « مربع الساقين » وكان وراء ظهره نافذة كبيرة يبدو من ورائها « غار حراء » في قمة هذا الجبل المخروطي الشكل ، وكان الضياء باهرا والمكان كله تغمره روح البساطة والهدوء والامان .

كان الرجل يرتدي لباسه الشهير كأبي بدوي من رعيته ، هذه الشملة الحمراء المنقطة (العطرة) والعباءة الصوف البنية وتحتها الجلباب الابيض ، وفي اسفل الأريكة نعلاه المصنوعان من الجلد كأبي نعل يحتذيه اي بدوي ، وباستطاعة اي انسان ان يشتري مثله من السوق . وكان كل ذلك جديدا علي انفعات به اعظم انفعال ودارت في رأسي ذكريات الاسلام المجيدة ، ذكريات خلفاء لم يميزوا انفسهم عن الرعية ، ولم يكن لهم من عمل بالليل والنهار الا خير الرعية وصلاح الرعية .

وتكلم السفير المصري كما يتكلم الى ملك ، وراح الباشوات يشنون على الملك العظيم ، وعينهم على القاهرة حتى لا يخرج من فمهم كلمة تغضب

القاهرة او بمعنى ادق « الملك فؤاد » (١) *

وتكلم الملك وأعترف انني كنت افهم كلامه بمقتضى السياق ، فلم أكن افهمه كلمة كلمة الا عندما يقول « لا اله الا الله » وكيف انها نفي وإثبات كما فهمت انه يثني على الشقيقة مصر وعلى اخيه ملك مصر *

وانفعلت بذلك كله ورفعت يدي مستأذنا ان اقول كلمة فأذن لي قبل ان يتمكن سادتنا الباشوات من الحيلولة بيني وبين الكلام ، ورحت أتكلم وأنا في ذروة الانفعال ، واني لا ذكر الآن بعد اربعين سنة بالكمال والتمام كل كلمة قلتها في هذا اليوم وأرى ان أثبت هنا فحواها لشديد صلتها بما ننعم به اليوم من بعث للعروبة والاسلام لا شك ان لعبد العزيز آل سعود وابنه فيصل من بعده الاثر الاكبر في ذلك ، قلت :

يا صاحب الجلالة

لم أملك نفسي وأنا في مجلسي هذا وأنا ارى خلفك غار حراء الا أن أعود الى الراء ثلاثة عشر قرنا ، هنا ومن هذا المكان وهذه البقعة بالذات بقعة غار حراء أشرق هذا النور الذي اضاء العالمين وجاء للانسانية في كل العهود بما يصلح احوالها ويأسو جروحها. واذا كان المسلمون قد انحدروا الى هاوية سحيقة من التخلف والشقاق والتنابد فليس ذلك الا لانهم القوا بتعاليم دينهم وراء ظهورهم ، هذا الدين الذي يدعو للاتحاد ، الذي يعتبر المسلمين كلهم أمة واحدة لا فضل لأحد الا بصالح الاعمال ، هذا الدين الذي يدعو للاخذ باسباب القوة ، والعلم اول اسباب القوة ، واليوم ونحن نرى ملكا اسلاميا ، يجلس بكل هذه

(١) كان الملك احمد فؤاد يرى في ابن السعود حجر عثرة في سبيل اطماعه مما لا محل لسرده .

البساطة ليحدثنا عن التوحيد والوحدة ، يحدثنا عن الفداء والتضحية ، يحدثنا عن الاخذ باسباب القوة والوقوف صفا واحدا فلنا ان تتفاءل ان غدنا سيكون خيرا من يومنا ، ومستقبلنا سيكون خيرا من حاضرتنا الشمس •

فامض الى الامام راشدا ايها الملك العظيم ، امض في دعوتك للاخوة ، للتعاون ، للنهوض ، والله معك والله يرعاك •
صفحة جديدة :

وجلست بعد ان قلت كلمتي وانا الهث من فرط الانفعال والخجل ، ولم يدر لي في خيال انني بهذه الكلمة قد فتحت امامي بابا عريضا من الخير والرجاء سأظل انعم به ما بقي عبد العزيز آل سعود حيا ، وما بقي في قدرتي ان اذهب اليه في الجزيرة العربية •

- ٣ -

في كتابي « مشاهداتي في جزيرة العرب » تفصيل للفتوح الروحية والمادية التي فتح الله بها علي في حجتي الاولى والمرات التي حججت فيما بعد ذلك ما بقي ابن السعود على قيد الحياة ، والذي يعنيني هنا أن أسجله انني عندما ذهبت للحج اول مرة ، كان ذلك هربا من الجهاد والكفاح فعدت من هذه الرحلة وانا اشد ايمانا واصراراً على مواصلة الكفاح ، ولا شك ان مرجع ذلك كان هو ما أفاءه الله عليّ من نعم ، وكانت كبرى هذه النعم هو انفتاح قلب ابن السعود لي ، لقد ضغط عليّ يدي وانا أصفحه عقب هذه المقابلة التي تحدثت عنها وقال لي انه يرغب في رؤيتي مرة أخرى على انفراد •
وفي هذه المقابلة الاخرى طلب مني ان اعتبر نفسي ابنا له ، وفي

اي امر احتاج فيه الى معونة فلا ألجأ بعد الله الا اليه . وأشهد لقد وفي بهذا العهد ، فما قصده في امر وخيب رجائي ابدا . لقد عدت الى الحجاز ثانية وثالثة ورابعة وصحبت في بعض المرات زميلين لي في الجهاد (١) ، وفي مرة اخرى والدي ووالدة الدكتور محمد حلمي مراد (٢) ، وفي احد المرات (٣) رأيت أن أجوب انحاء الجزيرة من الغرب الى الشرق فقصدت الطائف ثم اخترقت نجدا حتى وصلت الى الرياض ، ومنها الى منطقة الشرق حيث الظهران والدمام ثم منطقة الاحساء وعندما عدت من جولتي قابطني الملك عبد العزيز في جدة بإتسامة عريضة وهو يقول « اهلا بالتجدي » .

وأنا أقص ذلك لاطهر كم كان بي حفا ولم أكن سوى واحد من مئات عرفهم عن طريق موسم الحج في طول العالم الاسلامي وعرضه ووقف خلفهم يشملهم بتشجيعه وعونه ، وكان لا يخطئني مهما غبت عليه بالعامين او الثلاثة اعوام ، فلا تكاد عيناه تقع علي وسط الحشود التي تتزاحم للسلام عليه ، حتى يشرق وجهه بالابتسام ، وحتى افهم من ضغطته يده على يدي انه قد عرفني .

والحكايات عن ابن السعود كثيرة ، ولقد كتب عنه الغربيون كتباً كثيرة بمختلف اللغات كما كتبوا عن مصطفى كمال (اتاتورك) وفي عالمنا المعاصر لمعت اسماء كهتلر وموسوليني ، ثم خبت واشرقت اسماء اخرى مثل ستالين وتشرشل وروزفلت ، ولكن هذه الاسماء ستذهب او بالاحرى ستذكر كنجوم الى جوار نجوم اخرى في بلادها ، ولكنني

(١) هما الاستاذان عبد الحميد المشهدي والرحوم محمود مكي .

(٢) هي السيدة جلفدان حلمى والدة زوجتي .

(٣) صحبني في هذه الجولة الاخ محمد حلمى الفندور .

لا أحسب أنه يوجد في شبه جزيرة العرب بالذات من يسكن ان يقارن بعبد العزيز آل سعود باستثناء فترة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، فبالنسبة للخلفاء الراشدين فهم فوق المقارنة اذ فتحوا الدنيا المعروفة في هذا الزمان ، وبالنسبة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان اعظم ما يعتز به عبد العزيز آل سعود انه واحد من اتباع محمد يسير على سنته ويرفع لواءه ويضرب بسيفه ، وبقدر تفانيه واخلاصه للتوحيد والاسلام ونبي الاسلام ، كان نجاح عبد العزيز آل سعود وانتصاراته التي أعادت الى الجزيرة العربية ثقلها في شئون العالم ، ليس فقط من الناحية الروحية بالنسبة للمسلمين ، بل ومن الناحية المادية البحتة كما سوف نرى عندما تتعرض للحديث عن سلاح البترول الذي استعمله فيصل فرج العالمين ، وسنرى ان الفضل كل الفضل في استعمال هذا السلاح سيعود الى عبد العزيز الذي هيا ايجاد السلاح ابتداء ثم الى ولده وتلميذه الذي تلقن من أبيه كيف يجيد استعمال هذا السلاح .

روزفلت وتشرشل :

ويظهر ان العظمة تفرض تقديرها على العظماء ، فقد خرج الحلفاء منتصرين من الحرب ، وراح رؤساء الدول المنتصرة يرسمون العالم كما يريدون ، لا يقوم الا ما يوافقون على قيامه ، ويجب ان يزول ويختفي ما لا يرضون عنه . وراحوا يخططون لعالم ما بعد الحرب ، وميثاق سان فرانسكو الذي سيكون أساسا لمنظمة الامم المتحدة، والتي ستتشكل ممن اعلنوا الحرب على دول المحور . وتلفت روزفلت وتشرشل حولهما فلم يجدا المملكة العربية السعودية ستكون واحدة من الدول المؤسسة لهيئة الامم ذلك ان اسد الجزيرة العظيم استطاع ان يبقى بلاده خارج النزاع مما سأعرض له ، وعز على روزفلت وتشرشل ان لا يكون ابن

السعود معهما فأقدا على اجراء عجيب وهو ان يتيحا الفرصة امام ابن السعود ليعلن الحرب . لقد كانت الحرب انتهت بالفعل وكانت الاستعدادات تجري لتنظيم عالم ما بعد الحرب ، ولشدة الرغبة في ان يكون ابن السعود معهم جعلتهم يمدون اجل اعلان الحرب حتى بعد ان انتهت بالفعل ، وأعربوا عن رغبتهم في مقابلة الملك عبد العزيز ، وبقينا لو ان الملك عبد العزيز دعاهم لمقابلته على اي بقعة من الجزيرة العربية ، لأجابوا الدعوة وهم في منتهى السعادة ، ولكن الرجل العظيم اختار ان يقابلهم في مصر ، لا في عاصمتها ، ولكن في بقعة صحراوية أقرب ما تكون الى طابع بيئته ، فكان ان استقر الرأي ان يكون اللقاء في « اوبرج الفيوم » وهو فندق يطل على بحيرة قارون ويجاور الصحراء ، والذي يعني ان عبد العزيز آل سعود لم ينخلع قلبه من تشرشل وروزفلت اللذين كانا قد اصبحا سيدي العالم ، بل انه فرض عليهما احترامه فرضا فلم يغير شيئا من عاداته او تقاليده ، فضلا عن طعامه وشرابه ، وكانا هما اللذان غيرا من كل أساليبهما في التعامل وكان عليهما ان يتوددا للرجل العظيم بأسلوبه ، وما دام الاسلام يحرم الخمر، فلتخل مأدبة الغداء التي اقامها من الخمر ، ويحدثنا مايلز لامبسون سفير انجلترا في مصر والذي كان مرافقا لتشرشل ، يحدثنا في مذكراته كيف هرع تشرشل بعد عودته الى السفارة يعب الخمر التي حرم منها لأول مرة في حياته على مائدة عبد العزيز آل سعود ، ويحدثنا عن اعجاب تشرشل الذي لا حد له بابن السعود . اما روزفلت فقد كان اعجابه اعظم وكان يهنئ نفسه انه صديق لابن السعود .

والذي يعني من ذلك كله ، انه بالرغم مما فعله روزفلت وتشرشل لتكريم عبد العزيز آل سعود فلم يستطيعا ان يحصلوا منه على وعد باعلان الحرب بهذه الصورة الشكلية التي لا تكلفه شيئا الا معلقا على شرط ، وهو ان تسبقه مصر لفعل ذلك ، وهكذا كان على الحلفاء ان

يطلبوا من مصر ان تعلن الحرب (الصورية) اولا ، كي يعلنها عبد العزيز ، وهو ما حدث بالفعل •

لماذا مصر ؟

ولا يملك الانسان الا ان يحني رأسه لهذه البصيرة التي لا تتوفر الا للعظماء المخلصين ، فروزفت وتشرشل ما كانا ليميزا شعرة من رأس عبد العزيز بقدر ما كان يميزها تضامن المسلمين ووقوفهم صفا واحدا ، وقد كان عبد العزيز قد تقابل مع فاروق (ملك مصر) واتفقا على ان تكون لهما سياسة موحدة وما كان الرجل العظيم اذا وعد الا ان ينجز وعده •

ووقوف السعودية ومصر ، صفا واحدا وجهة واحدة هو حجر الزاوية في اي نهضة عربية فضلا عن اسلامية ، وقد شقي العرب عندما تصدعت هذه الجبهة ايام حكم جمال عبد الناصر وعزوا وسادوا عندما قويت هذه الجبهة على يد السادات وفيصل •

— ٤ —

في الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الاثنين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٧٣ هـ (٩ نوفمبر ١٩٥٣) انتقل الملك الصالح الرشيد اعظم من عرفت جزيرة العرب بعد سيدنا رسول الله (الخارج عن كل مقارنة) وبعد الخلفاء الراشدين ، ونعني به عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ، انتقل الى رحمة الله ، ومن أراد أن يعرف حياة هذا العملاق ماديا ومعنويا فعليه بكتاب « صقر الجزيرة » تأليف العالم والمؤرخ والاديب احمد عبد الغفور عطار ، ولكن من حق التاريخ علي ان اسجل بعض عبارات قيلت لي انا شخصا وان اسجل بعض ملاحظات جرت امامي •

كيف وقف على الحياد :

ولعل اهم موقف شرحه لي باستفاضة ان يقف على الحياد في الحرب العالمية الثانية ، بحيث كانت جده هي المكان الوحيد في العالم العربي الذي ظل به ممثل دبلوماسي لالمانيا ولانجلترا في الوقت نفسه وقد كان ذلك يعتبر اعجازا في هذه المنطقة من العالم •

قال لي رحمه الله وكنا لا نزال في عام ١٩٤٠ « طلب السفير الالمانى مقابلتي ، فرحت احدث امامه عن الصعوبات التي تحيط ببلدي وكيف ان الانجليز بسلطانهم ونموذهم في العالم الاسلامي واسطولهم في البحر يستطيعون ليس فقط حرمان الجزيرة من حجاج بيت الله الحرام الذين هم مصدر رزق شعبه ، بل ان بقدرتهم منع حتى لقمة الخبز التي تجيء من خارج الجزيرة ، فقال السفير الالمانى : نحن نقدر هذه الصعوبات ، ولذلك فكل الذي نطلبه هو ان لا تكونوا أعداء لنا ، فقال ابن السعود : اما هذا فانا اعد به » •

والسفير البريطاني :

وجاء السفير البريطاني فقال الملك : ان خير ما انصح به هو ان تتركوا بلادي على ما هي عليه من هدوء وسكينة فان العالم العربي من حولي يموج بأشد الانفعالات والتوترات واخشى ما اخشاه اذا انا تحركت اي حركة ان ينفجر برميل البارود من حولي وأغرق أنا وأنتهم في صعوبات ومشاكل لا يعلم سوى الله اين تنتهي بنا •

قال السفير البريطاني : ان بلادي تقدر ذلك تماما ، كل الذي نرجوه ، ان لا تقف بلادكم منا موقفا معاديا ، وأسرع ابن السعود ليقول : اما هذا فأعدكم به •

وهكذا استطاع عبد العزيز ان يحتفظ ليس فقط باستقلاله الكامل

وحياده بل وان يكون موقفه هو محل رضا وترحيب من الطرفين ،
وهو شيء لم يكن له مثيل في اي ركن آخر من اركان العالم ولا عجب
في ذلك فعبد العزيز كان شيئاً فذا •
هذا لا يليق بك :

اصطحبت معي في احدى المرات احد علمائنا الافاضل (بناء على
طلبه ، وبعد ان استأذنت جلالة الملك في اصطحابه) ولم يكد الملك يمد
يده لمصافحة العالم ، حتى راح يقبل يد جلالتة ، وغضب جلالة الملك
وانهال على صاحبي بالتأنيب والتعنيف ، انه (اي صاحبي العالم) طالب
علم ، وطالب العلم قد كرمه الله ورفع مكانا عليا فليس يليق بطالب
العلم ان يقبل يد انسان كائن ما كان ، وعن نفسه (اي عبد العزيز)
فهو لا يسمح طوال اقامته في نجد ان يقبل احد يده ، اما عندما يأتي
الى الحجاز فهو يخشى ان يفسر سحب يده ممن يقبلها انه غاضب عليه •
نزل هذا الدرس القاسي على صاحبي بردا وسلاما على قلبي ،
فقد كنت شابا ولكنني لو كنت يومها بسني الحاضرة وتجاربي لكنت انا
الذي ابادر لتقبيل يد عبد العزيز تعبيراً عن التكريم له لما افاء الله على
يديه من خير للاسلام والمسلمين •

اول ما يخربط يخربط عليك :

عرف المقربون الى جلالة الملك من ناحية والمحيطون بي من ناحية
اخرى ما اصبح لي من مركز اثير عند جلالة الملك ، فبدأ البعض
يوسطني في بعض المسائل . وفي ذات مرة وسطني عالم جليل كان قد
أثار حول نفسه بسبب تطرفه في جزئيات من الاسلوب الوهابي
بعض الصعوبات ، ولما كان جلالة الملك يعالج كل شيء بالحكمة ، فقد
قضى بابعاد العالم الفاضل من المدينة المنورة وفرض عليه الإقامة في مكة •

فاتنقل اليها معززا مكرما يتقاضى راتبه بالكامل ويدرس في الحرم الملكي . وطلب مني العالم (وكان صاحبي) ان اخاطب جلالة الملك في. ان يسمح له بالانتقال الى مصر ليعيش فيها ما بقي من حياته (تصورا من صاحبي ان عودته للمدينة غير ممكنة) ولم أكد أفاتح الملك في هذه القضية ، حتى قال لي انه يعرف صاحبي هذا تماما وانه لو اجابني الى طلبي لأساء الي بذلك . انه لو سح لصاحبي هذا بالسفر الى مصر « فأول ما يخربط حيزربط عليك » .. وفهمت من كلمة يخربط معنى الاختلاف، ومضى الرجل العظيم يقول لي : ولكن ليس عندي مانع ان يعود الى المدينة .. وقد كان وعاد صاحبي الى المدينة حيث توفي بها رحمه الله .

بعض من كل :

هذه بعض من المواقف التي شهدتها بنفسى ، وفي كتابي « مشاهداتي في جزيرة العرب » بعض مشاهد اخرى ، ولذلك فاني اكتفي الآن بذكر ما ذكرت على سبيل الاشارة ، لاتحدث بالمزيد عنه من خلال حديثي عن ابنه فيصل والذي هو الثمرة الناضجة لهذه الشجرة المباركة بحيث ان كل حديث عنه هو حديث عن ابيه ، كما ان كل حديث عن ابيه هو حديث عنه . فاذا كان قد قيل ان الولد سر ابيه ، فان هذا القول لا يتحقق مثلما يتحقق في فيصل بن عبد العزيز ، فهو ليس استمرارا وامتدادا لايه فحسب ، بل هو التتويج لعظمة ابيه ، فقد كان يمكن ان يمضي عبد العزيز آل سعود كتابا لا يزال ينقص فصلا ، فجاء فيصل بموقفه الاخير يكمل هذا الفصل فيبعث الكتاب المجيد بعثا ، ويكمل الجهود التي بدأها والده في خدمة قضية فلسطين والعرب والمسلمين .

القسم الثاني

الإيمان والتأثير والبطل

فيصل بن عبد العزيز



فيصل " الملك الورع



الملك فيصل - يقبل الحجر



الملك فيصل - وليا للعهد - في فندق مينهاوس



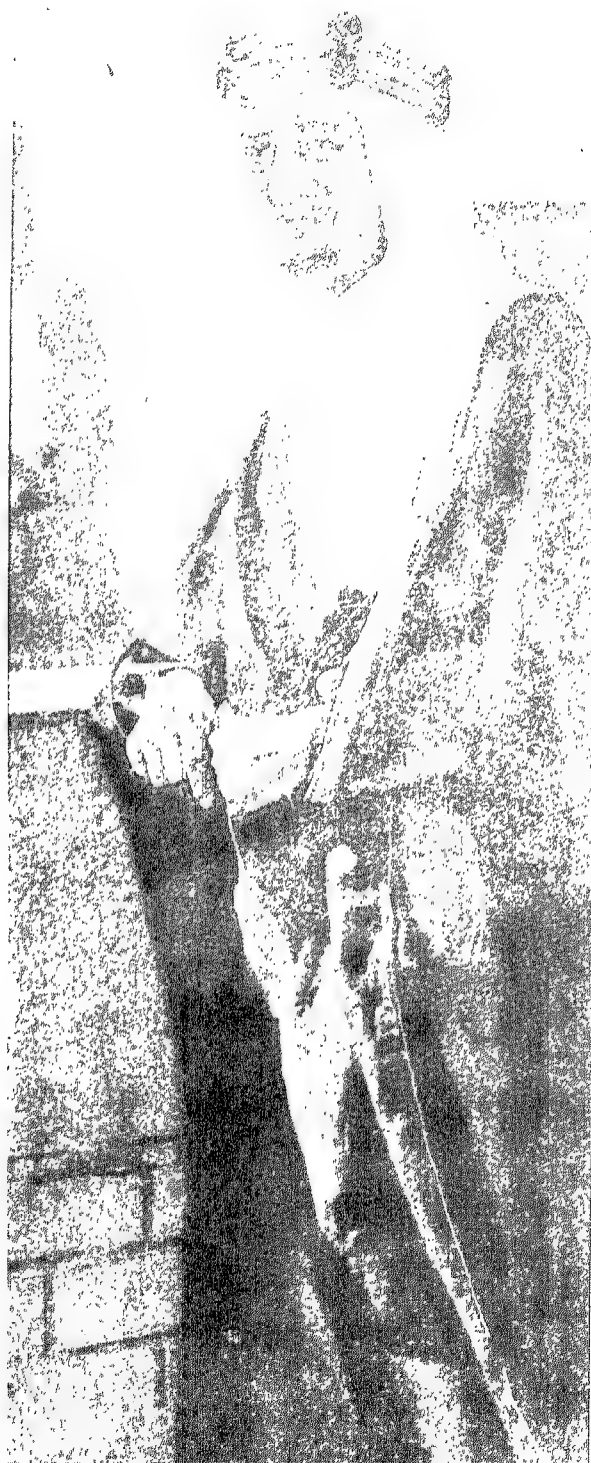




جلالة الملك فيصل أميراً - عام ١٩٢٦



جلالة الملك فيصل وزيرا للخارجية



صورة لجلالة الملك فيصل فوق ناطحة سحاب
في نيويورك عام ١٩٤٥م - ١٣٤٢هـ

نبذة عن حياة الملك فيصل

- ١ -

ولد الملك فيصل بن عبد العزيز في عام ١٣٢٤ هجرية اي في مطلع القرن العشرين الميلادي ، اي انه صاحب أباه مدى نصف قرن وسنرى انه ابتداء من العقد الثاني من حياته سوف يشركه ابوه في الحياة العامة ، بحيث يصبح بصره الذي يمدّه الى الآفاق البعيدة ، وسوف نرى انه رباه وأعدّه خير اعداد للزعامة والقيادة وهياً له من الاسباب ما مكنه في الوقت المناسب من تأدية هذا الدور الحاسم في تاريخ العرب والمسلمين • على انه سيبقى للوراثة دائماً هذا السر العميق الذي يجعل الكائن الحي هو من هو ، وقد ورث فيصل ما ورث لا عن ابيه فحسب ، بل انه ورث عن طريق والدته خصائص العنصر الثاني الذي قامت عليه النهضة السعودية وأعني به محمد بن عبد الوهاب الذي نسبت اليه النهضة السعودية في بادئ الامر فسميت «الوهابية» • فالملك فيصل هو ثمرة زواج عبد العزيز آل سعود بحفيدة لمحمد

ابن عبد الوهاب. فهي كريمة الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف صاحب المؤلفات الدينية الشهيرة والذي هو بدوره سليل الرائد الديني العظيم . وهكذا التقى في فيصل السيف والكتاب ، فلا عجب ان كان هذا المزيج الرائع الذي امله لفعل ما فعل .

رحلة مبكرة الى اوربا :

قدما ان الملك فيصل ولد في شهر صفر عام ١٣٣٤ هـ وقلنا اي انه ولد في أوائل القرن العشرين فثمة فروق كما نعرف بين السنة الهجرية والسنة الشمسية ، فعندما يقول لنا التاريخ ان عبد العزيز قد أوفد ابنه الى لندن عام ١٩١٨ م فان ذلك معناه ان سنه كانت تتراوح بين ١٤ و ١٥ سنة شمسية .

اما لماذا بعثه ابوه الى لندن فقد كان ذلك لينوب عنه في تلبية دعوة تلقاها عبد العزيز من ملك انجلترا جورج الخامس، فسافر فيصل في هذا الوقت المبكر على رأس وفد ، وابان اقامته في انجلترا دعتة فرنسا ليزورها كذلك ، وهكذا طاف ارجاء انجلترا وفرنسا معاقب الحرب العالمية الاولى فرأى وسمع وعان وقابل شخصيات اوربا ، وباستطاعتنا ان نتصور ما الذي تحدثه مثل هذه الرحلة في نفس شاب في مستهل حياته من تفتح وظمأ للمعرفة والتعلم .

ونجد انفسنا مضطرين للتساؤل : ولماذا كان فيصل بالذات وليس سعود وقد كان هو الابن الأكبر ، وهنا تتجلى فراسة عبد العزيز فلا بد أنه توسم في فيصل ما افتقده في سعود ، وقد أتيح لي في اثناء زيارتي للرياض عام ١٩٤٩ ان اتعرف الى سعود الذي كان وليا للعهد واشهد لقد كان بي حفيا وتصرف معي بكرم كما كان شأن والده معي ، ولكن الايام والتجربة أثبتت ان فيصلا وليس سعودا هو الذي كان امتدادا لوالده وهو الذي حفظ للدولة وحدتها واندفاعها ، ومن هنا

نقدر بعد نظر عبد العزيز عندما راح منذ هذا الوقت المبكر في اعداد
فيصل للدور العظيم الذي ينتظره •

الاعداد العسكري :

واذا كان عبد العزيز قد شرع في اعداد فيصل للسياسة الخارجية
طبقا لروح العصر فهو لم يفته ان يعده الاعداد العسكري فجعله في
صباه المبكر يتسيد المواقع : فكان ان حضر موقعة « ياطب » الى الشرق
الجنوبي من بلدة حائل عاصمة ملك آل الرشيد ، حيث دارت عليهم
الدائرة وقد حدث هذا في عام ١٣٣٦ هـ اي لم يكن عمر فيصل يزيد
على اثنتي عشرة سنة • ونراه لا يكاد يعود من اوربا من هذه الرحلة
التي أشرنا اليها حتى وضعه على رأس جيش وسيره الى منطقة عسير
لاطفاء فتنة شبت بها ، واضطلع فيصل الشاب بالمسئولية التي انيطت
به ونجح في مهمته •

وعاد فائزا منصورا •

- ٢ -

وهكذا منذ بلغ فيصل سن التمييز ، بدأ أبوه يسوقه الى المعامع
في ساحات القتال ، ويخرجه الى ميدان العالم الفسيح يعب منه عبا ،
ثم جاءت اللحظة التي عهد اليه فيها بأكبر مسئولية في الدولة الجديدة ،
وهي مسئولية حكم الحجاز ويا لها من مسئولية • كان ذلك في ٢٥
جمادي الاولى سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ٨ يناير سنة ١٩٢٦ م حين بويح
عبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز ، فاختار ابنه فيصل على الفور
ليكون نائبا له على الحجاز بينما كر هو راجعا الى نجد او بالاحرى
الرياض ، وسرعان ما سد فيصل الفراغ • حقا لقد كان له من هبة أيه

وحكمته عون على اداء هذه المأمورية ومع ذلك فما كان بقادر على ان يستمر فيها السنين الطوال التي دامت ربع قرن لو لم يكن فيه من الحنكة والقدرة ما يؤهله للاضطلاع بهذه المأمورية الصعبة - ذلك ان الحجازيين فخورون بانفسهم فهم سدة بيت الله الحرام ومثوى قبر الرسول ومسجده وبلادهم مهوى افئدة المسلمين من مشارق الدنيا ومغاربها ، وقد كان الخلفاء منذ اقدم العصور يهابونهم ويبالغون في ارضائهم ، وازداد الشرف حسين في الفترة التي تطلت الحرب العالمية الاولى بعدا سياسيا جديدا لهذه المكانة ، اذ جعل من الحجاز قلب حركة عربية نابضة تسعى لتوحيد المشرق العربي كله في ظل دوله عربية عملاقة ونودي بالشريف حسين ملكا ، فعليك ان تتصور كيف ينهار ذلك كله ويتحول الحجاز الى امانة تتبع نجد ، وهي البادية التي عاش الحجاز منذ بزغ فيه نور الاسلام يتعالى عليها . الحق انها تجربة لم يسبق لها مثيل في التاريخ وان الانسان ليعجب اشد العجب كيف مرت هذه التجربة بنجاح وكيف استطاع فيصل ان يقنع الحجازيين بحكمه بل وان يحملهم فوق ذلك على حبه .

ولقد عاصرت انا هذه المعجزة ابتداء من حجتي الاولى عام ١٩٣٤ حين لم اكن اسمع الا ثناء على فيصل ، كان كل من نتصل بهم يحدثونا بتحفظ عن الملك ، حتى اذا وصل الحديث الى نائبه على الحجاز فيصل ارتفعت حرارة الحديث وترددت كلمة الحب الذي يحمله الحجازيون لفيصل . وغني عن البيان ان هذه مكانة لا يرقى اليها أي حاكم الا اذا اشتهر بالعدل والتسوية بين الكبير والصغير ، بالاضافة الى السماحة والبشاشة ولين العريكة . هذا كله مع الاستقامة الشخصية والتدين والورع ، ويبدو ان هذه الخصال كلها توفرت في فيصل مما جعل اباه يختاره ليكون صنو نفسه . ولا بد انه لم يصدع رأس اييه بمشكلة

واحدة والا لما أقره في منصبه أكثر من عشرين سنة بغير انقطاع ، بل
ويضيف اليه منصبا لا يقل عن نيابة الملك من حيث الدقة .

وزير الخارجية :

في سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٠ م) انشأ الملك عبد العزيز وزارة
الخارجية فعهد بها الى فيصل منذ اليوم الاول بالاضافة الى عباه الاصلي
كنائب للملك ، ومرة اخرى اضطلع بالعبء الملقى عليه على اكل
وجه ، ولن اسأم من الاشارة الى وجود والده خلف كل اعماله فهو
الذي يصدر القرار الاخير دائما ، ومع ذلك فلا مناص من التذكير
ايضا بأن والده ما كان ليبقيه في منصبه ، بدون تغيير السنوات
الطويلة ، لو لم يأنس فيه القدرة والكفاءة وانه ترجمان لما في نفسه
وأبهى صورة يبدو فيها عبد العزيز في المعترك الدولي .

وهكذا بدأنا نرى فيصلا يمثل الدولة الفتية في علاقاتها مع دول
العالم كبراهها وصغراها ، فنرى توقيعه على معاهدة جدة التي وان
سبقت تعيينه وزيرا للخارجية ، اذ انها ابرمت عام (١٩٢٧ م) فيجب
ان تحسب في عداد اعمال وزير الخارجية ، ومعاهدة جدة هي المعاهدة
التي نظمت العلاقات بين السعودية وانجلترا .

وراح وزير الخارجية الجديد يطوف العالم شرقا وغربا ، فزار
عواصم اوربا كلها تقريبا ، حتى موسكو نفسها زارها قبل الحرب
العالمية الاولى فكان محل حفاوة بالغة ، حتى اذا فكرت انجلترا في عقد
مؤتمر مائدة مستديرة في لندن عام ١٩٣٩ لمحاولة حل قضية فلسطين
كان هو على رأس المشتركين فيها . وعندما تأسست هيئة الامم المتحدة
عام ١٩٤٥ كان هو احد الموقعين في نيويورك على ميثاق تكوينها .

وهكذا ما دعيت المملكة العربية السعودية الى محفل دولي او

مؤتمر عالمي من 'ي نوع كان الا وفيصل هو رجل السعودية : فمن ميثاق الجامعة العربية ، حتى مؤتمر باندونج لا نرى او نسمع عن غير فيصل • واذا كان عبد العزيز كما قدمنا هو الذي يصدر القرارات ويوجه ، فان ذلك ما كان يتم بكل هذه السلامة لو لم يكن فيصل هو عينه التي بها يرى وأذنه التي بها يسمع ، ويده التي يمدّها وقدمه التي يسعى بها ، اي انه من حق فيصل بلا شك او شبهة ، ان نقول ان له نصيبا لا يستهان به في حكم أييه الموفق •

التواضع والبساطة :

وقد بقي لأختم هذا الجزء ان أسجل تجربتي المثيرة بالنسبة لهذه الشخصية • فلم يحدث ان زرت السعودية الا في موسم الحج، حين كان الملك عبد العزيز يحضر الى الحجاز ليشهد الموسم فيصبح هو المقصّد لكل وافد ، والمدير لكل امر فكان يروني استمسك فيصل بالتقاليد النجدية الموروثة ، وهو ان لا يجلس الأبناء في حضرة والدهم ، ويقينا ان عبد العزيز كان عنده من الكياسة والحصافة وحسن التقدير ما يجعله يقدر عدم ملاءمة هذا التقليد لابن جعل منه نائبا للملك ووزيرا للخارجية يظل واقفا في حضرته ، واغلب ظني ان فيصل انما يفعل ذلك طوعية واختيارا عن رضا واقتناع بالتقاليد وهو ما يدل على ان ضخامة المناصب التي تولّاها والشخصية العالمية التي اصبح يمثلها لم تغير طبيعته الاصلية في التواضع والبساطة والزهد والورع •

- ٣ -

رئيس الوزارة فالملك

اذا كانت الدولة العظيمة التي أقامها الملك عبد العزيز قد عاشت

حتى الآن وازدادت مكانة وهيبة لا في العالم العربي والإسلامي فحسب بل في الدنيا كلها ، فذلك بفضل انسان واحد بلا جدال أو شك وذلك الانسان هو فيصل بن عبد العزيز آل سعود . وقد كان كل من في الجزيرة العربية يتوقع انه لا تكاد شخصية عبد العزيز العملاقة تختفي حتى يدب الخلاف بين فيصل وسعود وتغرق الجزيرة في حرب اهلية بين الاخوين ، فقد رأينا كيف ان فيصلا خلال عشرين سنة من حياة ابيه ، كان يؤلف قوة الدولة في القطاع الغربي (الحجاز) كما كان يدها المبسوطة للعالم كله ، ومن ناحية اخرى كان الامير سعود لكثرة اقامته في نجد قد وطد علاقته بقبائل نجد على الطريقة البدوية المألوفة . ومن هنا كانت كل الحسابات والتوقعات تنتهي الى حتمية الصراع بين سعود وفيصل ، وسنرى ان هذا الصراع قد وقع بالفعل ، ولكن بفضل شخصية فيصل العجيبة ، جعله صراعا من جانب واحد فقط ، اي من جانب سعود ، ولما كان اي صراع يعني جبهتين فقد كانت الجبهة الثانية في مواجهة سعود هم امراء البيت المالك بالاجماع والعلماء والجيش ومجلس الشورى والشعب . فاذا عجبت كيف استطاع سعود ان يقف امام كل هذه القوى وهي كل الدولة ، فالجواب على ذلك عند فيصل فقد اجمع هؤلاء على تنحية سعود وتولية فيصل ، فكان فيصل هو الذي يرفض وبكل اباء حتى لا يعرض البيت السعودي للانقسام . .

فلما تدهورت الامور العامة من ناحية ، وساءت صحة سعود من ناحية اخرى ، وتأكد لفيصل من ناحية ثالثة ، ان خلع سعود وتولية الملك بدلا عنه لن يحدث اي بلبلة او اضطراب من اي نوع كان ، هنا وهنا فقط قبل فيصل ، ان يتم التغيير وان يخلع الملك سعود ويبيع هو ، وليس أدل على ان الملك فيصل لم يقبل ما قبل ، الا بعد ان تأكد له ان سعودا نفسه قد اقتنع اخيرا ان لا مناص من هذا الاجراء . ان ابناء الملك سعود بايعوا الملك فيصلا فيمن بايع ، حتى الملك سعود نفسه ارسل

لفيصل يبايعه ويناديه بجلالة الملك ثم يغادر البلاد طائعا مختارا ، معززا
مكرما ، ومصطحبا معه امواله .

والحق ان هذه قصة فريدة لم يسمع التاريخ بشئها ،
ويقول البعض ان ما حدث هو نتيجة دهاء فيصل ، وأنعم به من
دهاء ذلك الذي بقي على البيت الواحد متماسكا ، وعلى الدولة وحدتها
ومواصلة سيرها نحو تحقيق اهدافها ، وسنرى ان ذلك ما كان متوقعا
له ان يتم ، عقب وفاة عبد العزيز مباشرة فما كان باستطاعة سعود ان
يشرف على ادارة هذه الدولة العظيمة من الناحية الروحية ، وكان
اكتشاف البترول فيها بهذه الغزارة الخرافية ، يوشك ان يجعلها عظيمة
من الناحية المادية كذلك ، ما كان سعود بقادر على ادارة دفة الامور لولا
انه من اللحظة الاولى عهد الى فيصل برئاسة الوزارة وارتضى ان يطلق
يده في ادارة الدولة ، فسار كل شيء على ما يرام ، الى ان تحركت
عوامل الغيرة في نفس سعود فتصور انه قادر على ادارة الامور فيروح
يتدخل فلا يزيد فيصل عن ان يتنحى مستقيلا ، فتضطرب الامور
اضطرابا عظيما ، اذ يتصرف سعود بغير ضابط او رابط فتسوء الحالة
العامة حتى لتندر بالخطر على سعود نفسه ، فيستغيث الكل بفيصل
فيعود الى امتئاف القيادة بعد ان يتم الاتفاق على ان يقنع سعود
بمنصبه كملك له على الجميع حق الولاء والاحترام على ان يترك
تصريف الامور للرجل القادر على تصريفها ، وتعود الامور للسلام
والاتساق ويعود لسعود تصوره أنه هو وحده صاحب الحق في تسيير
الامور فتعود لاضطرابها .

الى ان كان هذا الذي ذكرناه من قبل من اجماع
الامراء والعلماء والجيش والشعب على وجوب خلع سعود نهائيا
ومبايعة فيصل . وفي كتاب « فيصل العظيم » تأليف صديقي المرحوم

امين سعيد مؤرخ العروبة والعرب في العصر الحديث تفصيل كامل
لهذه الملحمة « الصامته » بين فيصل وسعود وانا اسميها صامته لانه
ليس فقط لم يرفع فيها سلاح ، بل انه لم يتلفظ فيها بكلمة فضلا عن ان
يقوم بأي «تحرك» ولو بسيط او تافه لا يكون فيه احترام لسعود ومع
ذلك فقد كانت الملحمة تدور بكل قوة وعنف بين الاخوين حيث ورث
احدهما كل خصائص ابيه في الحكمة والسياسة والكياسة والاعتدال ،
ولا يملك الآخر من ذلك كله شيئا الا انه الابن الذي رزق به عبد العزيز
اولا ، ولم يحاول فيصل ان ينازع لحظة في هذه الاولية ، فاذا كانت
الامور قد انتهت الى ما انتهت اليه فليس ذلك الا تطبيقا للناموس
القائل ان البقاء للأصلح هو ما عبر عنه القرآن الكريم يقول « فاما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » •

واذا كان لنا من كلمة نختم بها هذا الفصل فهي ان فيصلا عندما
كان يناهى نفسه عن ان يدخل في خلاف مع اخيه حينما كانت كل
العناصر تؤيده لم يكن يعرف ان الله سيطلق في حياته ، وسوف يموت
سعود قبله • فاذا كان ذلك قد حدث فبارادة من الله عز وجل ، ليلعب
فيصل دوره التاريخي الذي جعلني اكتب هذا الكتاب •





حمزة صاحب الحلالة الملك فيصل بن عبد العزيز

أثناء توليه أعياء الملك

الفصل الثاني الذروة

أصل الآن الى الذروة التي وصل اليها فيصل والتي لولاها لما كتبت هذا الكتاب فأنا أصبحت رجلا لا مأرب لي في شيء ولا مطمع في اي عرض من اعراض الدنيا فانا رجل قعيد بيتي عاجز مشلول ، كل ما بت أفكر فيه هو ان اتقل الى جوار ربي في يسر وسلام ، ولكنني من ناحية اخرى أرى ان في ابقاء الله على عقلي سليما وقدرتي على الكتابة تكليفا إلهيا أن أواصل الكتابة في ما أحس بفائدته وجدواه من ناحية وان أسجل للتاريخ من ناحية أخرى ، وكلا الامرين يدفعاني للحديث عن فيصل كما تحدثت عن السادات . ذلك ان مسار التاريخ قد تحرك نحو الاحسن بالنسبة للعرب والمسلمين .

- ١ -

قطع النفط عن امريكا

واذا كان التاريخ سيجفظ للسادات والاسد ومن ورائهما الجيشان المصري والسوري انهما كسرا شوكة اسرائيل العسكرية وحطما خرافتها ، فان فيصلا ومعه بقية أمراء الجزيرة هم الذين عزلوا امريكا

عن اسرائيل ، بل عزلوها عن العالم كله ، وهذا موقف سيكون له ما بعده خلال خمسين سنة قادمة • فحق للأجيال القادمة ان تفصل لها نحن المعاصرين كيف استطاع فيصل ان يقوم بهذه الضربة التي اذهلت امريكا ودوختها •

والناس يتحدثون اليوم بما يشتم منه تقليل ضخامة العمل الذي قام به ، بعد ان انتهى كل شيء ، وتوثك العلاقات الطيبة بين فيصل والولايات المتحدة الأمريكية ان تعود لسابق العهد بها وبعد ان تضاعف دخل السعودية من عائدات البترول عدة مرات ، فيهب البعض اكتافهم محاولين التهوين من شأن ما حدث ، فاسين انه يوم ان قرر امراء الخليج ابتداء من امير ابو ظبي الى امير البحرين وقطر فالكويت مستأنسين طبعاً بقرار فيصل باعتبار ان لا جدوى من كل الذي يعملون لو لم يكن فيصل في المقدمة ، اقول يوم ان قرر فيصل وامراء الخليج قطع النفط عن امريكا لم يكونوا يقدرّون ماذا يمكن ان يترتب على هذا القرار • ان للولايات المتحدة الامريكية اسطولا في مياه الخليج ، بل ان لهم قاعدة عسكرية في الظهران بالذات ، والشركات التي تقوم بالعمل كله شركات امريكية •• وقبل ذلك كله وفوق ذلك ، هناك ايران حليفة امريكا والتي تعتبر نفسها القوة التي يجب ان تهيمن على كل شئون الخليج (١) •

(١) عندما فكر الملك فيصل قطع البترول عن امريكا لم يكن كما ذهب المؤلف الفاضل، بل كان الملك فيصل حاسبا كل النتائج والاحتمالات، وليس ما عمله مغامرة ، وانما هو عمل دل على عبقرية فيصل السياسية التي اشتهر بها ، وما حسبته فيصل وقع ، وكان التفسير في سياسة الغرب - والولايات المتحدة بخاصة - واضحا ، فقد اجبره الملك فيصل على احترام العرب والاعتراف بحقوقهم ، وعلى تغيير سياسة الغرب وعلاقات حلف الاطلسي مع الولايات المتحدة .

الناشر

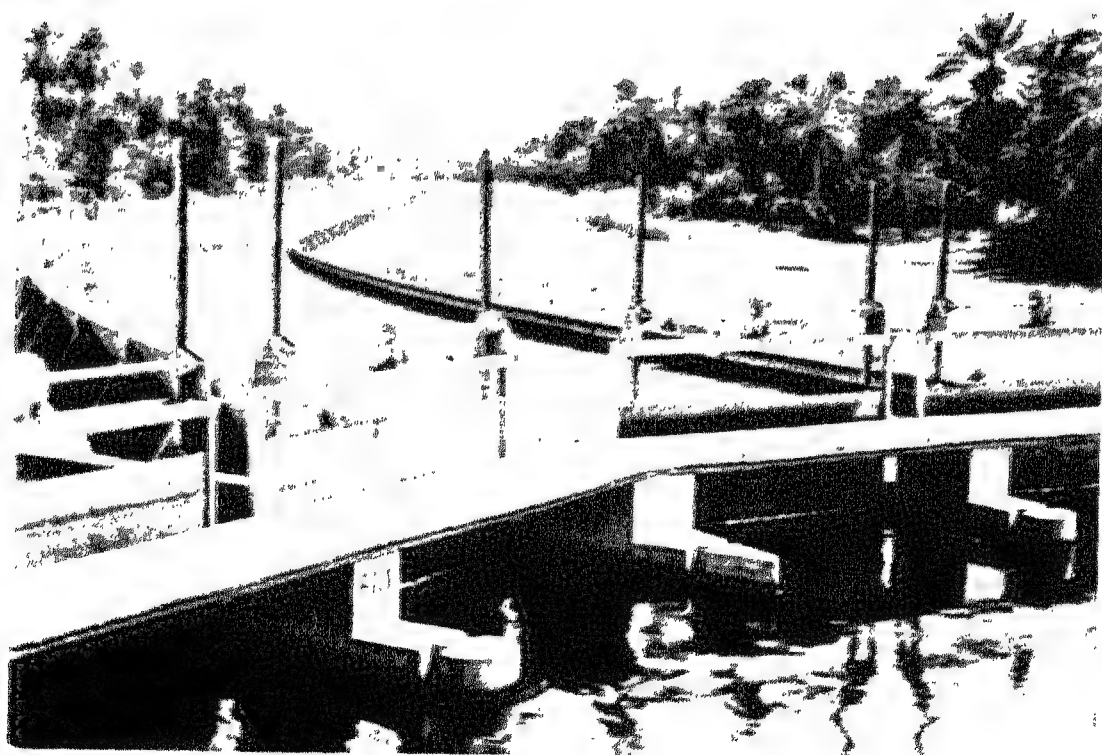
كل هذه عوامل كانت تجعل الموقف ينذر بأشد المخاطر التي يمكن ان تأتي على الاخضر واليابس وتجلب كل شيء بل وتدمره تدميرا ، ولقد عشت كالملايين من معاصري على اعصابنا لا اقول يوما بيوم او ساعة بساعة ، وانما لحظة بلحظة ريثما انتهى الجزء الساخن من الصراع بسلام . فيجب ان يقاس موقف فيصل بلحظة اصدار القرار . والذي كان يغامر فيه بكل شيء ليس فقط ببلاده بل ونفسه شخصا غير معتمد الا على الايمان بالله تماما كأثور السادات فهو عندما اصدر قراره الخالد للجيش بعبور قناة السويس لم يكن يعرف انه سيتم بهذه السهولة ، وان النتائج ستكون بكل هذه الجودة ، لقد كانت المخاطرة مخيفة ، ولكنه اقدم عليها ووافقه حافظ الاسد ، وليس لهما من سند الا الايمان بالله .

فعندما نتحدث عن دور فيصل العظيم فهو دوره في اصدار القرار الذي أعاد للامة العربية فاعليتها وقدرها بين الشعوب وليس ذلك سوى البداية وعندي انه كما تعتبر ثمرة اي شجرة هي المحصلة النهائية للشجرة كلها ، ولولا الثمرة التي تنتجها اي شجرة لفقدت مبرر وجودها ، وليس فقط الا الثمرة التي تعطي لاي شجرة أهميتها ، ولذلك كان يمكن ان تذهب شجرة عبد العزيز آل سعود بكل رونقها وعظمتها وتطوى صفحتها ، لولا ان كان فيصل ثمرة هذه الشجرة المباركة ، فاذا بعبد العزيز يبعث من جديد بآثاره في هذه الدنيا على العرب والمسلمين ، واذا اعمال فيصل في البناء والتعمير تأخذ ابعادا وعمقا جديدين ، وتتجلى حكمة فيصل وسياسته الرشيدة التي انتهت الى هذه النتيجة السعيدة .





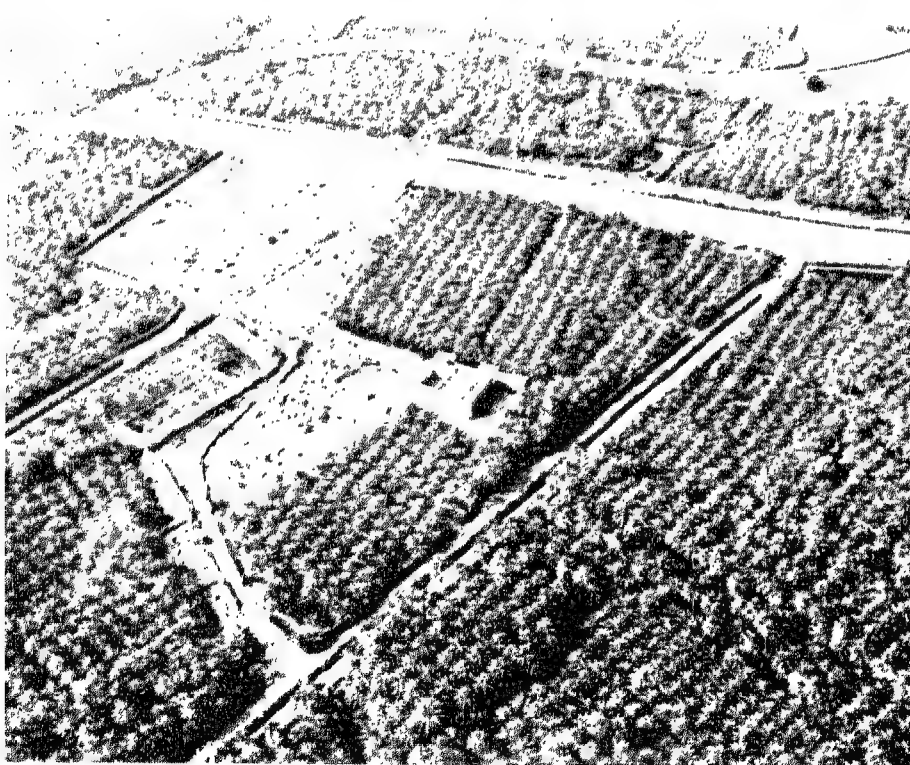
وادي نجران



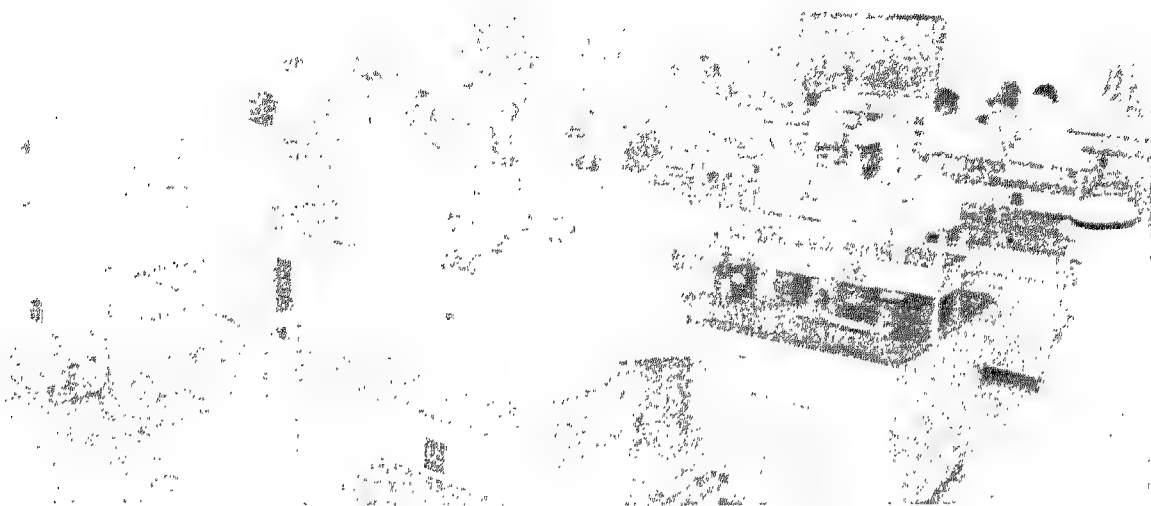
مشروع الري بالاحساء



العلا - مزارع النخيل



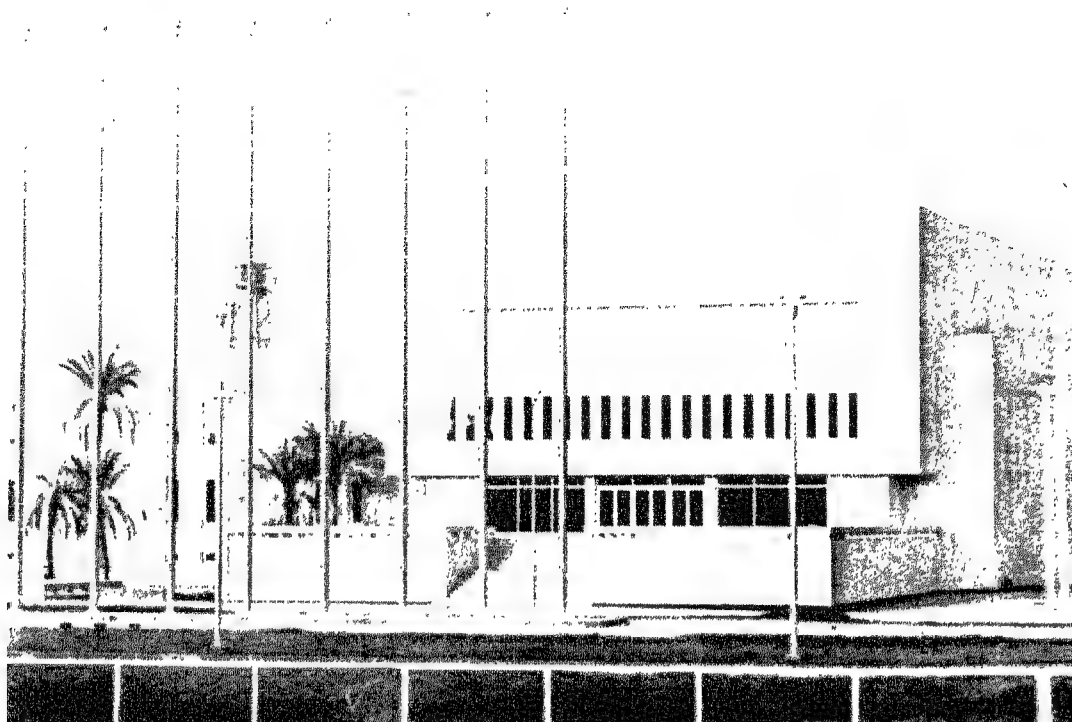
مشروع الري بالاحساء - حقول مزروعة



١ - محاضر كلية الهندسة في جامعة الرياض



٢ - المهندسين يلاحظون نمو المحاصيل في حقل الزراعة في جامعة الرياض



الرياض - مبنى الاذاعة



جده - منظر عام

- ٢ -

النهضة العمرانية

لست أريد ان اقف طويلا امام النهضة العمرانية ايام فيصل ، فقد رأينا فيما سبق ان فيصلا قد شارك منذ اليوم الاول مع ابيه في البناء والانشاء والتعمير، وهي عملية تابعها وكان مسئولا عنها ايام ابيه واخيه ثم تضاعفت وازدهرت في عهده وذلك وضع طبيعي جدا فرضته ظروف اكتشاف البترول وضرورة استغلاله ، فلا بد لكل ذلك من علم وتعليم ومنشآت صحية واجتماعية وزراعية وصناعية ، وفي كتاب «فيصل العظيم» للمرحوم امين سعيد تفصيل لهذه النهضة العمرانية حتى عام ١٩٦٥ ، وقد تفضل الاستاذ الشيخ قاسم عبدالله فأهدى اليّ مجلدا ضخما « معجزة فوق الرمال » يتحدث عن قصة الانجازات للسعودية حتى سنة ١٩٧١ م ، وقد لا تتصور أن كل ذلك لا يقاس بما تم في عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ •

وقد اتيح لي شخصا أن أزور السعودية وانا مريض يحملونسي ومع ذلك فلم يفتني ان أشهد الشواطئ المذهل الذي قطعه البلاد والذي يكفي في تصويره ان اقول لك ان الاقامة في مدينة جدة ولو لبضع ساعات كانت تعتبر قطعة من العذاب. اما هذه المرة فقد كانت اقامتي الدائمة في ضيافة ابني الروحي الاستاذ حامد حسن ابو الخير في مدينة جدة ، ومنها نقصد مكة لاداء العمرة ، ونقصد المدينة للزيارة ، ولكننا لا نلبث ان نعود الى جدة لنواصل الاقامة حيث كنا في احدى العمارات التي بنيت على الطراز العصري بأخر معطيات العلم من مصاعد كهربائية، وأجهزة التكييف والتلفزيون ، وكل ما تتطلبه حياة الرفاهية اللازمة لمريض ، وكانت السيارة تنقلنا في اقل من ساعة الى مكة ، واقل من

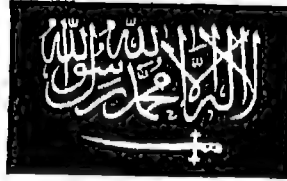
خمس ساعات الى المدينة. وهي الرحلة التي كنا نقطعها بالسيارة في يومين ، وقد اصبح ذلك ممكنا بفضل هذه الطرق الفاخرة التي لا اظن انه توجد طرق في العالم تفوقها . اما المفاجأة التي كانت تنتظرنني في المدينة المنورة فهي ان تصبح كل مزارات المدينة ابتداء من مسجد قباء حتى قبور الشهداء وقبر سيدنا حمزة كلها اصبحت داخل نطاق المدينة . وكان صديقي واخي المؤمن المجاهد الشيخ محمود فايد يرمز بوجوده في المدينة المنورة الى عظمة الشوط الذي قطعته السعودية في كافة ضروب العلم فهو استاذ في جامعة المدينة المنورة الاسلامية ، وهي ليست سوى جامعة من بين عدة جامعات في ارجاء المملكة .

واذا كان مرضي قد حال بيني وبين الرحلة الى الشرق. كما فعلت منذ ربع قرن. فقد اعطاني التلفزيون فكرة عما يجري في انحاء المملكة ، عليك ان تتصور ما الذي يعنيه ان تشهد على التلفزيون ما يجري على ألوف الكيلومترات . ولعل ما يرمز الى النهضة الشاملة ان اشاهد على شاشة التلفزيون دورة رياضية لدويلات الخليج في شتى الالعاب وان تتم بكل الرونق والبهاء الذي يمكن ان تشهده لامثال هذه المهرجانات في اي دولة من دول اوربا وامريكا . لا لست اريد ان اقف طويلا امام هذه الظواهر التي هي النتيجة الحتمية لاكتشاف البترول ، بل لعل البلاد من هذه الناحية دون الغاية من حيث التصنيع واستغلال موارد البلاد وليس سوى هذا الموقف الاخير الرائع ما سوف يصحح الامور ويجعلها تسير فيما يجب ان تسير فيه وهذا يجرنا للحديث عن البترول وسلاح البترول وما سوف يحدثه من تغيير جذري ليس فقط في جزيرة العرب او البلاد العربية كلها بل في انحاء الدنيا .

ولكي اتحدث عن سلاح البترول الذي عندما احس فيصل بانه

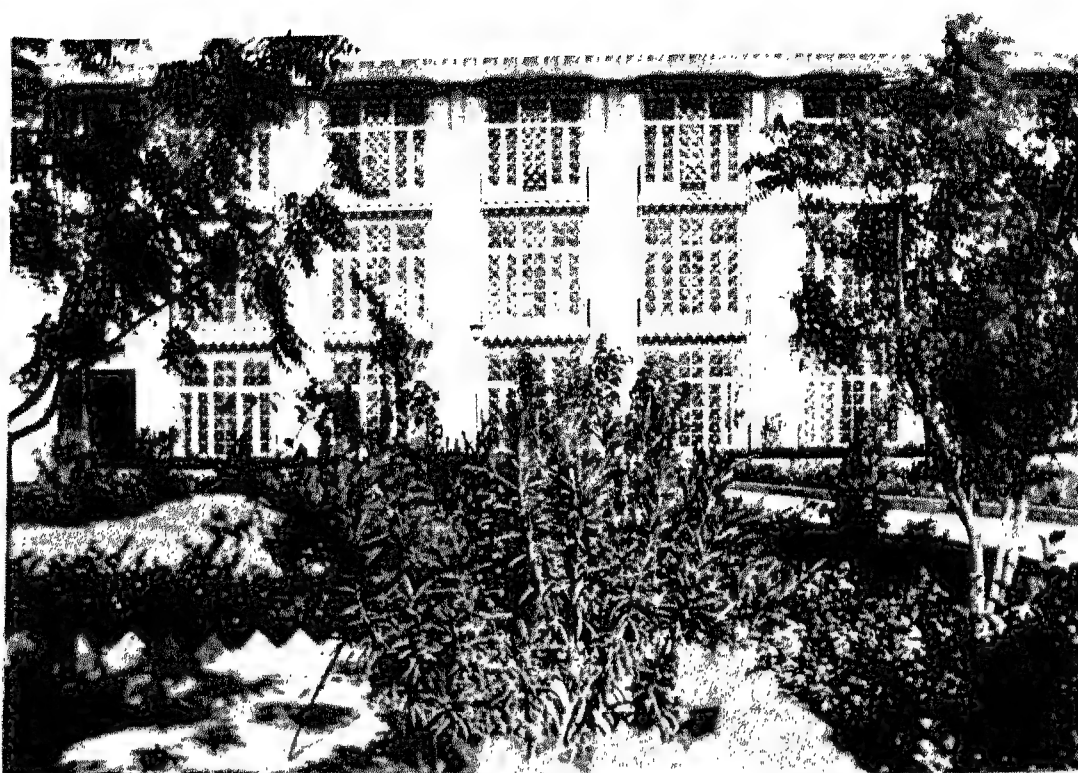
اصبح كاملا في يده وانه احكم السيطرة عليه،لم يتردد في استخدامه
وهو عين ما كان يفعله ابوه اذ كان يضرب خصمه في الوقت المناسب ،
لا دقيقة قبل او بعد الميعاد •

وللبترول في جزيرة العرب قصة اثبتها في كتابي « مشاهداتي في
جزيرة العرب » والذي كتبه منذ ربع قرن وما اسعدني ان انقل هذا
الذي كتبه آنذاك فهو الارهاص لكل ما يجري اليوم •



منظر عمومی از فضای طبیعت البر و سراسر سالما دشت فی الزمان البرادست





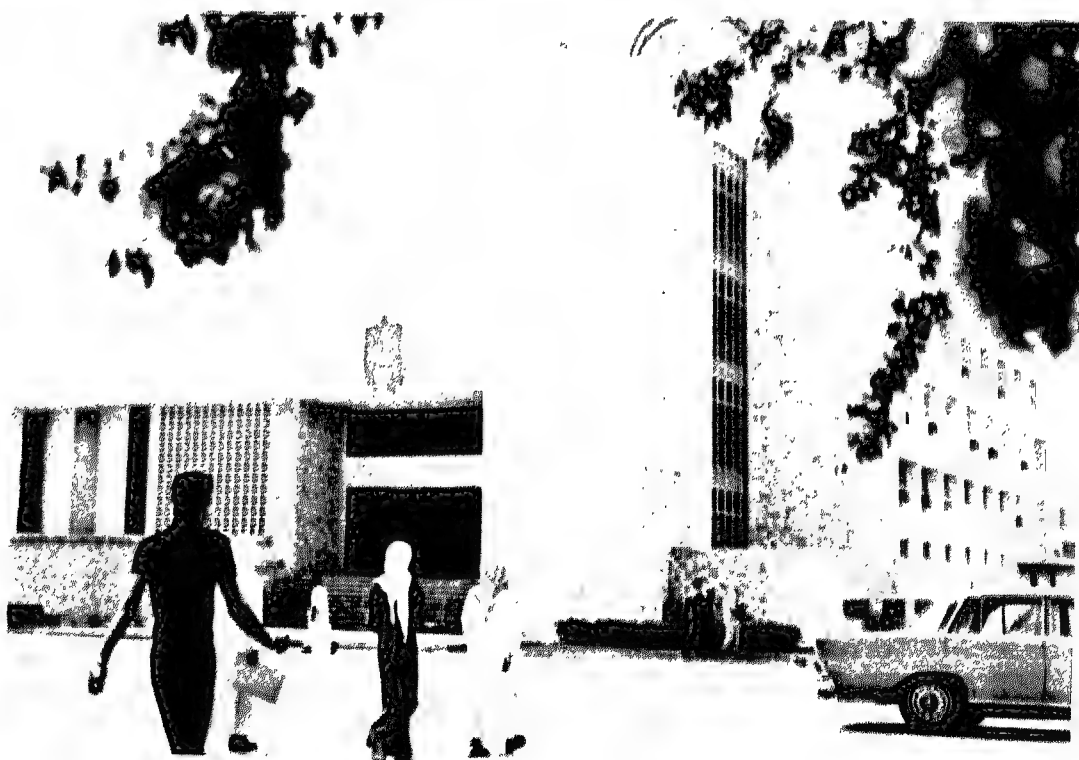
جده - جامعة الملك عبد العزيز



المعهد المهني الملكي - الرياض



أحد معاهد أعداد المعلمين



جامعة الرياض



الرياض - ساحة الديرة



مطار جدة
Jeddah Airport

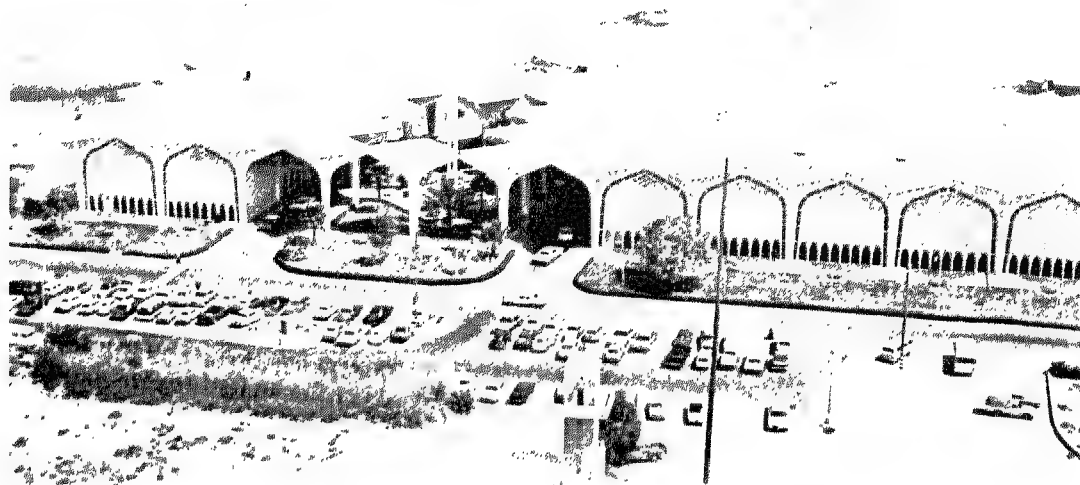
مطار جدة



الطائف - منظر عام



الهفوف - منظر عام



الظهران - مبنى مطار الظهران



الفصل الثالث

قصة البترول

« اذا كان هناك رجل له فضل في اكتشاف البترول في هذه المنطقة من العالم التي اصبحت أغنى مناطقه على الاطلاق فذلك الرجل هو الملك عبد العزيز آل سعود ، الذي كانت لديه الشجاعة التي جعلته يمنح امتياز التنقيب لشركة كاليفورنيا للبترول في سنة ١٩٣٣ » • بهذه العبارة استهل مدير شركة « أرامكو » حديثه معنا عن تاريخ المشروع ثم استطرد قائلاً : اننا ندرك الصعوبات التي كانت تعترض منحنا مثل هذا الامتياز ، فقد مضت قرون واجيال لم يظأ هذه الاراضي شخص غير مسلم ، وقد اصبحت هذه قاعدة يعتبر مجرد المساس بها بمثابة الكفر والمروق من الايمان في نظر المتعصبين من بدو الصحراء • ومع ذلك فقد اقدم ابن السعود على تحطيم هذه القاعدة فسمح لنا بالاستقرار ، وأحاطنا بجو من الامن والطمأنينة لا نشعر بهما في عقر بلادنا •

ونحن نعرف انه يحق للعرب ان يسيئوا الظن بنوايا الدول الغربية التي استعمرت اجزاء كبيرة من العالم العربي والاسلامي ، فلم يكن هناك لوم او تثريب على الملك ابن السعود فيما لو اساء بنوايانا الظن

فأبى علينا هذا الامتياز ، ولكن عبقرية ابن السعود تغلبت على هذه المخاوف وأدرك أننا كمبركة لا يهمننا الا ان نربح عن طريق استخدام البترول ، وأن نفيد المجتمع الذي هيا لنا اسباب هذا الربح ، وان مصلحتنا المحققة هي دوام استقلال هذا المجتمع وحفظ كيانه لتتمكن من الاستمرار في اعمالنا . لقد ادرك ابن السعود بثاقب بصيرته هذه الحقائق فلم يتردد في منحنا الامتياز ، ونحن نقدر هذا العمل العظيم من جانبه ، وقد آلينا على أنفسنا ان لا نجعله او نجعل خلفاءه يندمون على هذه الخطوة ابدا ، ولذلك فنحن نخدمهم باخلاص ونعتبر انفسنا من رعاياهم وفي حمايتهم ، واتنا سعداء اليوم اذ نقدم لابن السعود جزاء كرمه وتسامحه بالنسبة لنا ، فسوف يجعله هذا البترول اغنى ملك ، ويجعل هذا القسم من الجزيرة من اغنى بلاد العالمين في السنوات المقبلة .

تاريخ المشروع وتطوراتهِ :

اما بقية القصة بالتفصيل فقد اطلعت عليها من هذه الكتب التي أعطانا اياها ، والتي لم اشأ ان انام هذه الليلة الا بعد ان افرغ من مطالعتها حتى اكون مستعدا لفهم ما سوف نقابله في اليوم التالي من منشآت ومؤسسات .

بدأت الشركة اعمال التنقيب في سنة ١٩٣٣ م وكان هذا نفر من الامريكان الاوائل الذين هبطوا الى هذا المكان مضطرين الى ان يطيلوا ذقونهم وان يرتدوا ملابس العربان ، وكان على ابن السعود ان يحميم رجال شرطته لئلا يفتك بهم البدو . وكان البدء شاقا وقاسيا فليس في هذا الشاطئ الذي نزلوا اليه ، بل ليس في الجزيرة كلها شيء ينتفع به . وكان على هؤلاء القوم ان يستوردوا كل شيء من امريكا ، ليس فقط بالنسبة للآلات والمعدات والعمال ، بل والطعام والشراب وقطعة الصابون يغسلون بها انفسهم والورق والمسمار والدبوس وفتلة الخيط

وقطعة الدوبارة. وكان يتعين عليهم استجلاب ذلك من ابعاد شاسعة سحيقة
تصل الى عشرة آلاف ميل واكثر ، وكان يجب ان يظل شربان الحياة
متصلا بين هؤلاء العمال وبين امريكا ليستطيعوا ان يواصلوا مجرد
الحياة . وكان على هؤلاء الامريكان الأوائل ان يقوموا بثلاث مهمات
كل منها كان كالمستحيل ، وهي ان يجدوا البترول في هذه القفار وكان
البحث عنه بمثابة البحث عن ابرة في قاع المحيط ، وان يجعلوا الحياة
القاسية التي تحيط بهم محتملة ، وان يصبروا عليها وأن يكونوا أولا
وقبل كل شيء جيرانا طيبين لهؤلاء البدو والعرب الذين كانت الدلائل
كلها تدل على أنهم كمرجل يغلي من الحقد ضد هؤلاء الغرباء .

ولقد نهض هؤلاء الامريكان الأوائل بهذه المهمة بكل صبر وجلد .
وبدأوا في حفر البئر الاولى في اسوأ الظروف ، فكبدتهم ذلك من
العناء ما كبدتهم ، ولكنهم بعد ان انفقوا وتعبوا وكدوا اذا بالنتيجة
تخيب رجاءهم والبئر المحفورة لا تنتج شيئا له قيمة ، وحفروا بئرا ثانية
فكانت اشأم من الاولى . ولكن القوم كانوا قد وطدوا انفسهم على
احتمال مثل هذه الخيبة فهم لم يقطعوا هذه الالوف من الاميال لكي
يشي عزمهم الفشل . وبدأوا بئرا ثالثة . ومن جديد بدأوا يعلقون عليها
الآمال ، وراحوا ينفقون عشرات الالوف ومئات الالوف من الدولارات،
وتمضي الشهور تلو الشهور في هذا الحر القائف الذي يشوي الوجوه،
وليس للقوم الا الخيام يقيمون فيها فلما بدأوا في بناء ما يستظلون به
بنوا اكواخا صغيرة ينظر اليها الانسان اليوم وقد احتفظوا بها كبعض
الآثار فيعجب كيف رضي الامريكان أن يدعوا كاليفورنيا التي
تفيض بالسمن والعسل وبأجمل المناظر وأجمل المتع وأجمل النساء ،
وكيف تركوا هذه الدنيا الصاخبة الزاهية ليعيشوا في هذه القفار في هذه
الاكواخ الخالية من كل شيء .

واخيرا تم حفر البئر الثالثة • ومرة اخرى لم يلق القوم سوى القشل ، لقد خرج من اعماق الارض ما يدل على ان هناك بترولاً ، ولكن هذا البترول بكميات تافهة لا تستحق العناء الذي بذل من اجلها ، ولا تساوي مجرد اخراجها من باطن الارض فضلا عن شحنها الى انحاء العالمين •

وبداً ايمان اصحاب الشركة يدب اليه بعض الوهن ، ولكن كان هناك معين من الصبر والجلد وكان قد مضى على القوم بضعة اعوام ازدادوا فيها استقرارا وتأقلموا بالجو الى حد كبير ، واستطاعوا أن يحلوا كثيرا من مشكلات الإقامة والطعام والشراب ، واذن فليمضوا في العمل ، فكان حفر البئر الرابعة في منطقة غير المناطق السابقة ، وبعد شهر من العمل المضني الذي لا يتصوره الانسان الا اذا رآه رأي العين نجح القوم في تأكيد الحقيقة التي بدأت تتضح لهم • وهي انهم اخطأوا الحساب والتقدير ، وان هذا المكان من الجزيرة خلو من البترول الذي يمكن استغلاله بطريقة اقتصادية ناجحة • هل تعلن الشركة افلاسها وتدع العمل بعد ان انفقت ما انفقت واسست ما اسست ؟ اجتمع المساهمون في امريكا وتباحثوا في الامر ، وهالتهم الخسائر التي كابدوها حتى الآن ، لقد بلغت الخسائر حتى نهاية سنة ١٩٣٧ م ثلاثة ملايين دولار دون ان تنتج ما يغل مليما واحدا ، وعز عليهم ان يضيع كل ذلك هباء ، فاستجمعوا عزيمتهم وقرروا مواصلة العمل ، فجمعوا اموالا جديدة ، وارسلوا خبراء جددا ، ومنحوا العمال مزايا ومشجعات ومرغبات جديدة ليواصلوا العمل • وفي هذا الجو من العزم المجدد والتفاؤل بدأ حفر البئر الخامسة ، بعد ان حشدوا لها كل ما لديهم من علم وتجارب وفن ، ولكنهم انتهوا الى نفس النتيجة السابقة ، قليل من البترول لا يساوي جزءا من مائة جزء مما انفق على استخراجها • ورأوا



منظر ليلي لمصنع الاسمدة الكيماوية (سافكو)

ان يقوموا بمحاولة اخيرة ليدعموا بعدها العمل غير آسفين ولا نادمين
لانتفاذ ما يمكن انتفاذه من كيان الشركة الاصلية في كاليفورنيا •

وفي هذه المرة حفروا بئرين في آن واحد : السادسة والسابعة ،
ووقف المديرون والمساهمون يتنسمون الاخبار الاخيرة من ساعة الى
ساعة ، الى ان تم حفر البئر السادسة فاذا بالضربة تحل بهم فلم تخرج
لهم البئر الا الفشل والخيبة ، وقضي على كل امل وانهارت هذه القصور
من الاماني والاحلام التي علقها الامريكان على العثور على البترول في
هذا المكان ، وبدأ كبار الموظفين يصدرن القرارات لتصفية الموقف ،
لقرب عودتهم الى امريكا وتخلصهم من هذا المكان اللعين ، واهتزت
اسلاك البرق بين الظهران وكليفورنيا تقول ان كل شيء قد انتهى وانهم
في انتظار الامر الاخير بالرحيل ، ولكن ••

ولكن :

ولكن هذا الامر بالرحيل لم يصدر وبدلا منه صدرت اوامر
عكسية. واهتزت اسلاك البرق من كاليفورنيا الى الظهران بأمال هذه
البرقيات : المدير العام في طريقه اليكم ، الاعتمادات المطلوبة قد فتحت،
النقود الذهبية شحنت على الباخرة وسوف تصلكم ، اصدرنا الاوامر
والتعليمات بشحن عشرة آلاف طن من المواسير • ستصلكم الآلات
والمعدات في أقرب وقت ، سنرسل اليكم بعض الاطباء والمرضات
الجميع هنا يرقصون من الفرح •

البئر السابعة :

لقد ضرب الحظ ضربه في الساعة الاخيرة ، فهذه البئر السابعة
التي لم يكن قد تم حفرها جاءت بالمعجزة التي كان الامريكان يؤملون
فيها ، لقد تفجرت الارض واخرجت اثقالها • وانطلق زيت البترول من

اعماق الارض كآقوى ما رأى الامريكان وكأعجب ما رأى الامريكان •
وكان ذلك في شهر مارس سنة ١٩٣٨ م اي بعد خمس سنوات كاملة
من العمل في ظل الفشل والخيبة المتكررة • ولم تكن هذه البئر السابعة
بئرا كأبار الزيت المعهودة بل كانت طوفانا ، وكانت بمثابة بحر عجاج
متلاطم من البترول •

وبدأت صفحة جديدة ، لا في تاريخ شركة كاليفورنيا ، او في
التنقيب عن البترول في جزيرة العرب ، بل صفحة جديدة في تاريخ
العرب كلهم • وصفحة في تاريخ الشرق الاوسط بأكمله ، فقد اصبح هو
العمود الفقري لمجهودات انتاج انجلترا وامريكا العالميتين واصبح هو
القلب الذي اذا أصيب بضربة واحدة خر الجسد على أثره مصعوقا ميتا •
هذه البئر رقم ٧ انها موجودة اليوم تحمل هذا الرقم ، ويحج
اليها رجال الشركة وعمالها ينظرون اليها كنقطة التحول في حظوظهم
وحظوظ جزيرة العرب •

ولكي تقدر خطورة هذه البئر ، لا عليك الا أن تقرأ الارقام الآتية :
فمنذ عام ١٩٣٣ م حتى آخر عام ١٩٣٨ م وهو العام الذي اكتشفت
فيه البئر السابعة التي كان قد بدأ استغلالها قرب آخر العام ، بلغ مقدار
ما استخرج من البترول في خمس سنوات ٥٧٥٠٠٠ برميل • اما في سنة
١٩٣٩ م أي بعد أن بدأت البئر السابعة انتاجها بالكامل فقد بلغ
المستخرج ٣٩٣٤٠٠٠ برميل أي ما يزيد على سبعة اضعاف
الكمية المستخرجة في خمس سنوات من ست آبار مجتمعة •

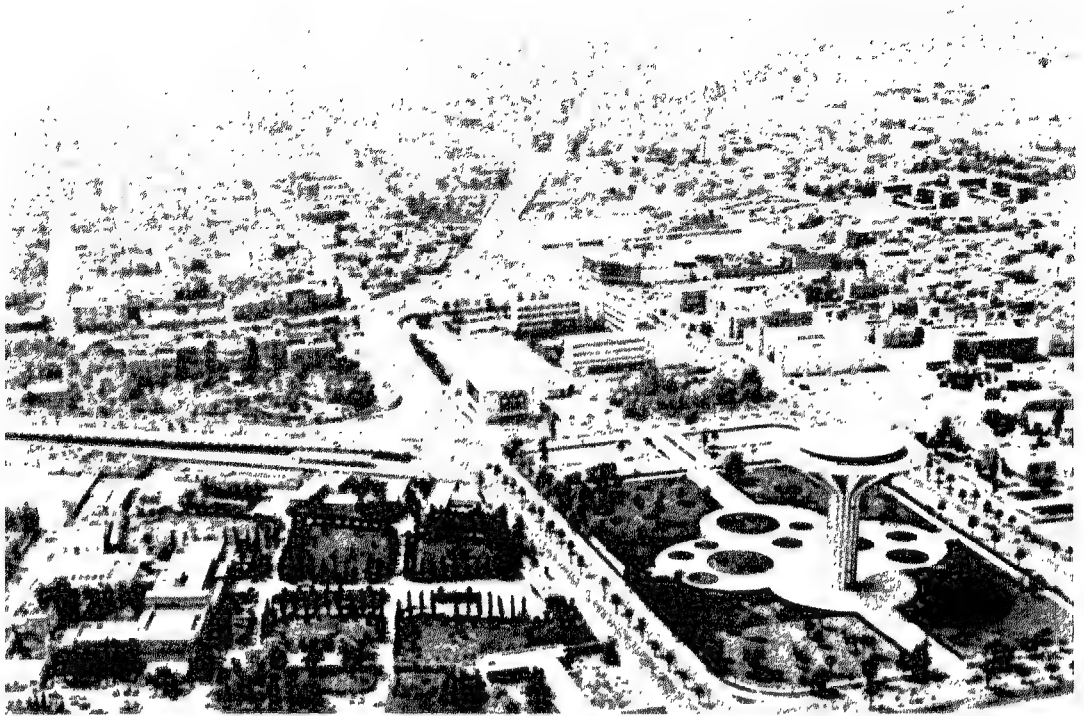
وبدأت قصة ألف ليلة وليلة منذ ذلك التاريخ وقصة خاتم سليمان
وكنز علاء الدين وغفاريت الجن التي تنسف الجبال وتجفف البحار
وتحول كل شيء الى ذهب •

بدأ استخراج الزيت يتضاعف فأصبح في سنة ١٩٤٠ م ٥٠٧٥٠٠٠ برميلا ولكن الحرب في ذلك الوقت كانت قد اشتعلت ، وبدأت الحكومة الأمريكية تمنع تصدير الآلات اللازمة لكي تواصل الشركة اعمالها فضلا عن ان تتوسع فيها ، ولكن في سنة ١٩٤٣ قررت الحكومة الأمريكية ان هذا البترول لازم لمجهود امريكا الحربي في اوربا وفي الشرق ، فأعلنت الشركة القيام بعملها على أوسع نطاق ، فاذا الناتج يقفز في سنة ١٩٤٥ م الى ٢١٣١١٠٠٠ برميلا ، وبهولك هذا الرقم الذي كان منذ عام واحد لا يزيد على سبعة ملايين ، فاذا به يتضاعف ثلاث مرات في خلال عام ، وهو شيء لا مثيل له في تاريخ البترول في اي مكان في العالم ، ولكن الدهشة لا تكاد تملكك حتى ترى نفسك مهددا بان تصاب بالذهول عندما تعرف ان هذا الرقم قد ارتفع في العام التالي اي ١٩٤٦ م الى ٥٩٩٤٤٠٠٠ اي ستين مليون برميل في السنة وفي عام ١٩٤٧ ، الى ٨٩٨٥٢٠٠٠ اي تسعين مليونا ، وقد قال لي المدير انهم يتوقعون انتاج مائة مليون برميل في عام ١٩٤٨ م ولقد طالعت بعد ذلك في تقرير الشركة عن اعمالها في هذه السنة ان الانتاج قد تجاوز هذا القدر بمرحلة شاسعة . ولا جدال ان هذا وضع شاذ لا يسير عليه العمل في اي مكان آخر في العالم ، فالمعروف ان البترول له كميات محددة سرعان ما تنفد وكثير من الآبار التي تنتج البترول سرعان ما تجف ، ولذلك فان كل دول العالم قد وضعت سياسات خاصة بكمية البترول المستخرجة ، وهي تحظر استنزاف موارد البترول بهذا الاسلوب ، ولكن شركة ارامكو لا يهمها بطبيعة الحال الا مجرد الربح ، فهي تعمل على استجلابه والاستكثار منه ، فماذا عليها اذا سحبت كل البترول الموجود في باطن الارض وجففت الآبار ، بل هي تريد أن يكون احد اهداف امريكا بالذات هو الاقتصاد في استعمال ما في باطن ارضها من البترول ، على ان تستخدم بترول الشرق الاوسط،

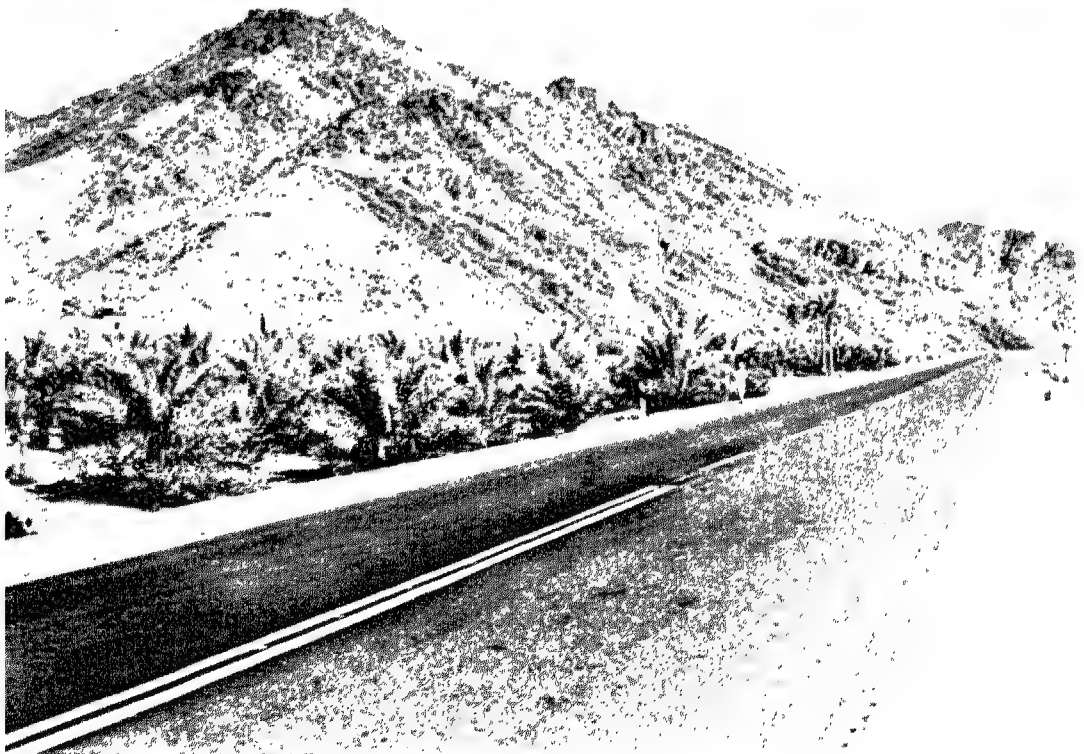
وهو ما فعلته في خلال الحرب بالفعل اذ اعتمدت اعتمادا كليا على بترول الدولة العربية السعودية كما يتجلى من هذه الكميات الضخمة . ولذلك فاننا تتجه في هذه الرسالة الى جلالة الملك ابن السعود وولي عهده مطالبين اياهما بوجوب التدخل لتحديد الكميات التي لا يجوز للشركة ان تتجاوزها في انتاجها ، وان تقدر هذه الكميات بنسبة معينة الى المخزون تحت الارض ، كآن لا تتجاوز هذه النسبة نصفاً في المائة او واحداً في المائة على الاكثر ، وبذلك تضمن المملكة السعودية موارد البترول الى مائة سنة مقبلة ، اما اذا سارت الامور بالاسلوب الذي تسير عليه الآن فان اخشى ما اخشاه ان ينزع الامريكيون البترول ثم يدعون الجزيرة بعد ذلك قاعاً صافصفاً .

انتشار العمران :

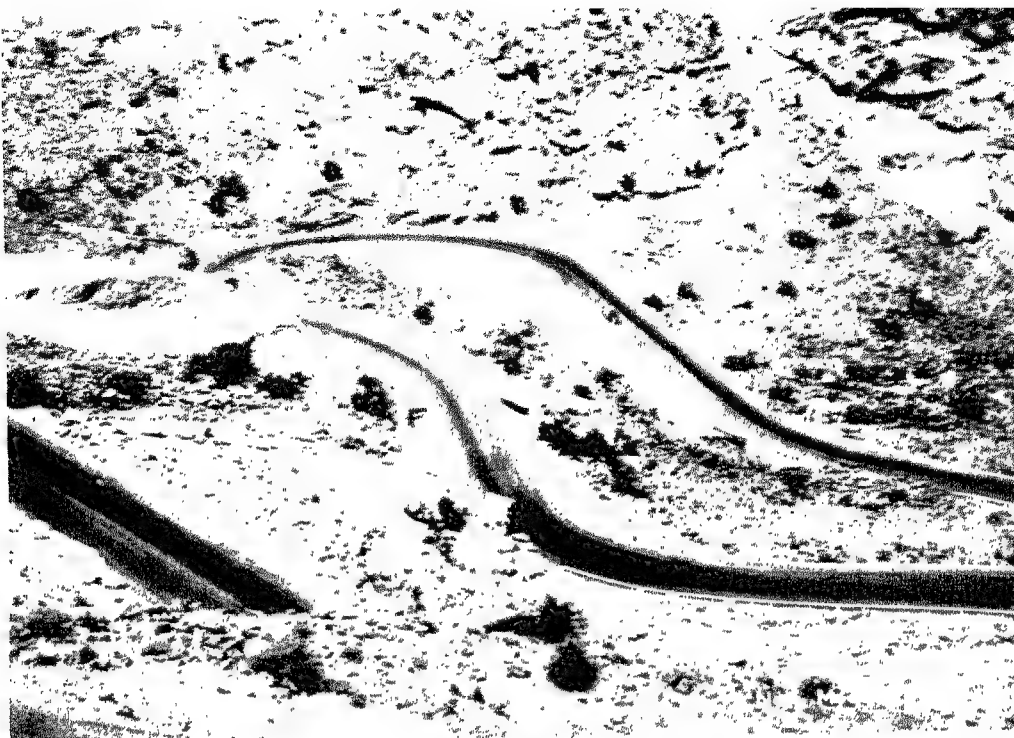
وفي اعقاب البترول وفدت مظاهر العمران على أوجها ، فالظهران التي كانت تتألف من بعض العشش والاكواخ اصبحت الان كما وصفتها لك بلدة امريكية حافلة بمظاهر الحياة ، وقد خرجنا بعد الظهر نطوف في ارجائها فسرنا في هذه الشوارع المعبدة النظيفة ، وسط هذه البيوت الجميلة . ولفت انظارنا هذه الكثرة الساحقة من السيارات التي تقوم بوظيفة التاكسي ، وقد طليت باللونين الاصفر والاحمر على غرار التاكسيات في نيويورك ، وزرنا الورش الضخمة التي ليس لها مثيل حتى الآن في مصر من حيث حداثة الآلات وضخامتها ، ولم يكن هناك ما يبهجنا اكثر من ان نرى العمال العرب يعملون وسط هذه الآلات كأمر ما يكون العمال . لقد كانوا بالامس بدوا رحلا يلتسمون رزقهم من التمر وقطرات الماء في جوف الصحراء ، اما اليوم فهم يعملون على هذه الآلات - ويتقاضون في اليوم ما يساوي خمسين قرشاً او سبعين او ثمانين او مائة في بعض الاحيان مضافا اليها سكن بالمجان وحرارة



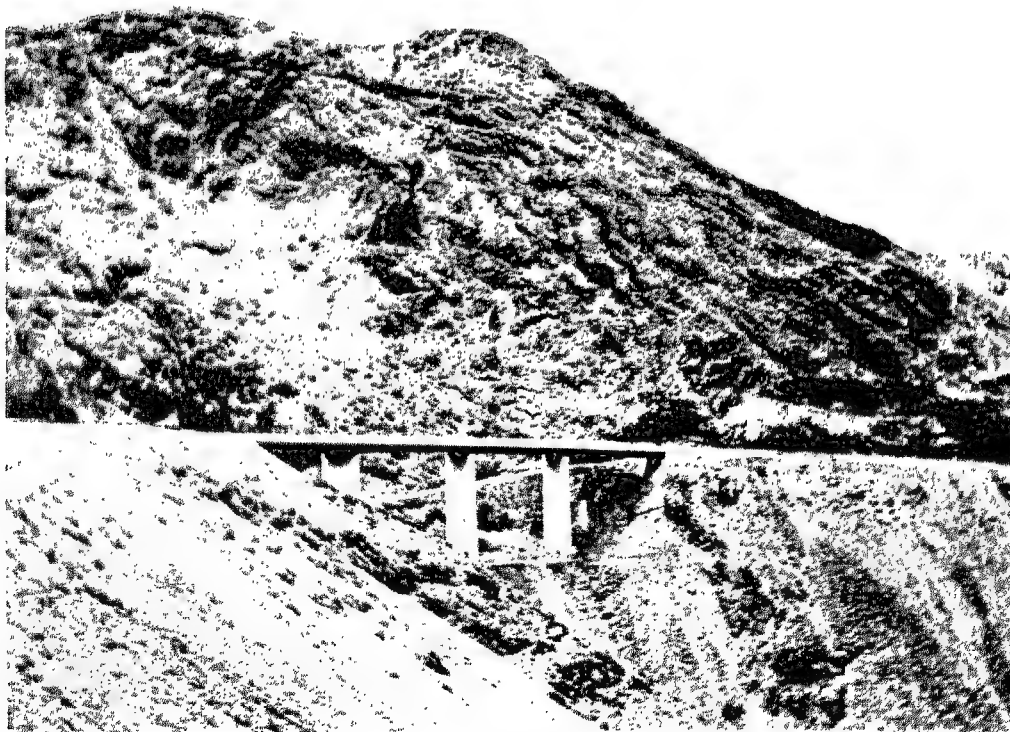
الرياض - منظر جوي



طريق المدينة - بالقرب من بدر



طريق مكة - الطائف الجديد



طريق الطائف بشه - جسر شمروخ

بالمجان ليطهو عليها طعامه كذلك ، وتقدم له الاقوات كل اسبوعين
بشمن مخفض يتناسب مع موارده •

لقد بلغ عدد هؤلاء العمال عشرين الفا ، لا شك انهم يؤلفون مرحلة
جديدة في تاريخ الجزيرة ، فاول مرة في كل حياتها يقبل العربي على
حذق صناعة ومزاولة عمل يدوي • ومهما قيل في شأن هذه الخطوة او
هذا الانقلاب في حياة الجزيرة وما قد يجره عليها من اخطار الحرب ،
فلم يكن بوسعي الا أن أباركه عندما بدأت أدخل الى المدارس التي
انشئت لتعليم هؤلاء العرب القراءة والكتابة ، ولتعليمهم قواعد
الميكانيكا ولتدريبهم على مختلف الصناعات ، وعندما دخلت الى هذا
المستشفى الذي لم يفتح بعد ولكنه أتم الاستعداد لهذا الافتتاح ،
ادركت ان هذه دنيا جديدة كان لا بد للعرب من ان يدخلوها ،
فالمستشفى على أحدث طراز تبنى عليه المستشفيات في أمريكا ، ويحتوي
من الاستعداد ما أخشى ان اقول ان اكبر مستشفيات مصر لا تحويه
لان كل ما في هذا المستشفى قد استجلب من أمريكا في هذا العام ،
اي وفق آخر طراز وآخر ما ابتكر العلم وتطورت اليه أجهزة
ومعدات المستشفيات ، وكل ذلك سيكون وقفا على علاج العمال
امريكان وعرب على السواء فبهمني ذلك كله ، ولم استطع اخفاء اعجابي
وتقديري لهذه النهضة على الرغم من الخوف الذي ما زال يخالط نفسي
بعد ان تكشفت نوايا الامريكان الاستعمارية •

وكنا في تجوالنا نمر بآبار البترول التي تنتج البترول بالفعل فكان
منظرها عجباً لانها لا تزيد عن مجرد انبوبة صغيرة تخرج من بطن الارض،
وقد احيطت بسيياج ليدل على أنها بئر ، وتتصل هذه الانبوبة بأنابيب
البترول الممتد على سطح الارض ، والتي يندفع البترول في داخلها حتى
يصل الى أماكن التجميع او التكرير ، وسرعان ما تكتشف هذه الآبار « في

كل مكان ، وانك تمر عليها دون أن تلاحظ شيئا غير عادي حتى يلتفت نظرك الى منظر البئر • ولما حدثت مرافقي الامريكاني عن بساطة هذا المنظر أجباني ان الحال في امريكا وفي بعض البلاد أغرب من ذلك ، ففي الحدائق العامة وفي بيوت بعض الناس ترى هذه الانابيب التي تدلك على وجود بئر للبتروول •

ورأينا في تجوالنا هذه النيران المشتعلة التي رأيناها من الطائرة بمجرد اقترابنا من المكان - فسألت عن موضوعها فقبل لي ان زيت البترول يخرج من الارض وهو مختلط بغازات سامة لو تركت مختلطة به لسبب الاذى لكل من اقترب منه ، وهو يتلف الالوعية التي يوضع بها ، ولذلك فهم يعملون على تخليصه من هذه الغازات الالوية في هذه الاجهزة الضخمة التي قصدها لنقف على خبرها - ويطلقون عليها اسم المصيدة اشارة الى انها تصيد الغازات العالقة بالبتروول ، حتى اذا عزلت الغازات عن الزيت لم يبق ما يعمل بهذه الغازات الا ان تحرق ، وهذا هو سر النيران المستعرة بدون انقطاع • ولم يكد الرجل يشرح لي هذه الحقيقة حتى اندفعت اسأله : وهل يمكن الانتفاع بهذه الغازات على اي صورة من الصور ؟ فأجاب : اننا ننتفع بها في توليد الحرارة التي تلزمنا للقيام بعملياتنا ، ومنتفع بها في الطهي والتدفئة داخل البيوت على الصورة التي تراها ، ولكن لا فائدة منها بعد ذلك • قلت : وهذه النار المشتعلة ابدا بهذه القوة ، هذا الجحيم المستعر ، هذه الطاقة ، اتذهب هكذا هباء تبدد في الهواء ؟ فأجبني : نحن نتساءل مثلك هذا السؤال ، ولم نستطع حتى الآن ان نجيب عليه ، ذلك لأننا قوم مهتمنا هي انتاج البترول ولا زيادة ، وربما اذا جيء بعلماء آخرين يجدون سبيلا لاستخدام هذه النيران ، اما نحن فلم نستطع ان ننتفع بها اي انتفاع •

وصمتنا جميعا وظللنا نحدق في النيران والقشعريرة تسري في

جسدنا لمرآها ، فقد كانت نيرانا فظيعة مخيفة تتصاعد الى عنان السماء •
واخيرا سألت سؤالا اخيرا : اليس هناك اي خطر من هذه النيران الى
جوار آبار البترول ؟ لقد كان محظورا علينا في كثير من الامكنة ان
نشعل مجرد عود ثقاب تفاديا للخطر فكيف بهذه النيران الجبارة ؟
فأجابني أن ليس ثمة خطر فالغاز يندفع من الانابيب بقوة في هذا الاتجاه
والنار لا يمكن ان تمتد الى داخل الانابيب لعدم وجود الاوكسجين
اللازم للاحتراق بها فلم يبق الا ان يحترق الغاز بعد ان يغادر الانابيب
في هذا الطرف البعيد الذي ابعد عن البلدة وعن مواقع آبار البترول •

استيقظنا في الصباح المبكر يوم الاثنين ، استأنفنا جولتنا ، وفي
هذه المرة لم يكن في انتظارنا سيارة بل كانت هناك طائرة •

قلت للقوم : اما من سبيل لزيارة البحرين وهي الجزيرة المتاخمة
لشاطيء الجزيرة ، والتي يوجد فيها البترول بكميات ضخمة ؟ فأجابوني
بأنه لا بد للهبوط في الجزيرة من اجراءات معينة نظرا لانها تحت
الحماية الانجليزية ، ولكن الطيار كلف بان يطير فوق الجزيرة على
ارتفاع قريب لكي نستطيع ان نرى كل معالمها •

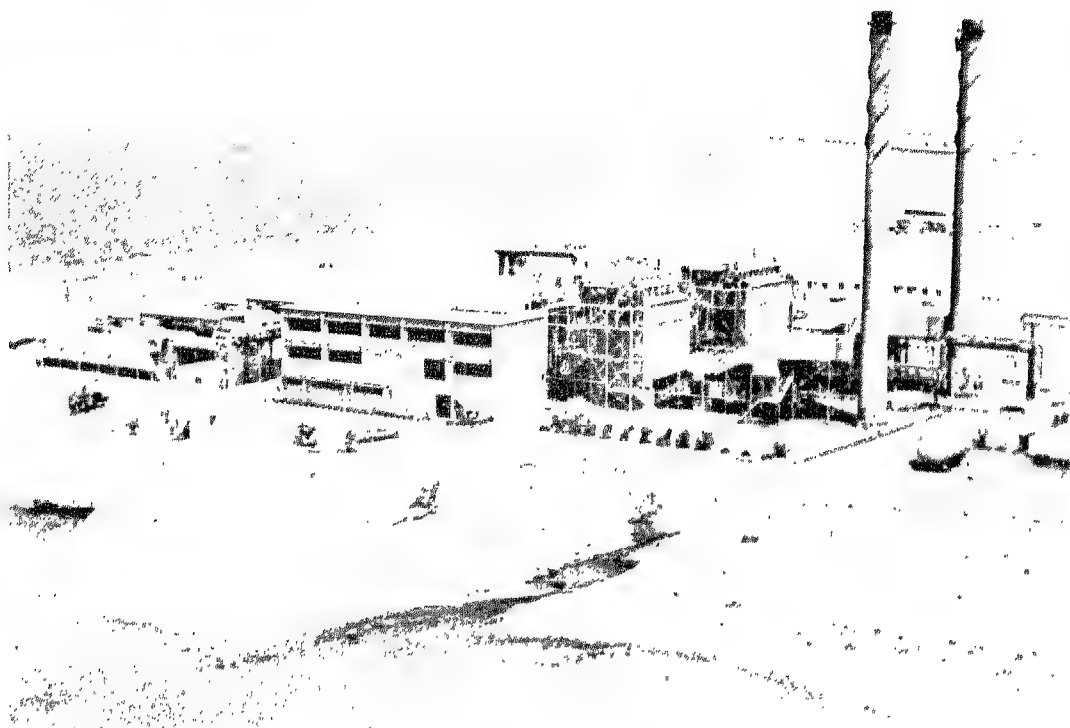
وارتفعت بنا الطائرة وهي من طراز (بيتش كرافت) وبدأت تحوم
فوق الظهران ، ثم اتجهت صوب جزيرة البحرين • ولست أشك
لحظة بعد أن رأيت ما رأيت أن البترول الذي يوجد على شواطئ
الخليج العربي انما يوجد ايضا في قاعه •

وعندما تتطور أساليب التنقيب فتشمل البحث عن البترول تحت
البحار الضحلة سيجدون تحت الخليج العربي بحرا آخر من البترول
اسفل هذا البحر من الماء • ان الانسان يرى قاع البحر وهو في الطائرة
حتى لقد عجبت كيف تدخل السفن الكبيرة الى هذه الاجزاء من البحر،

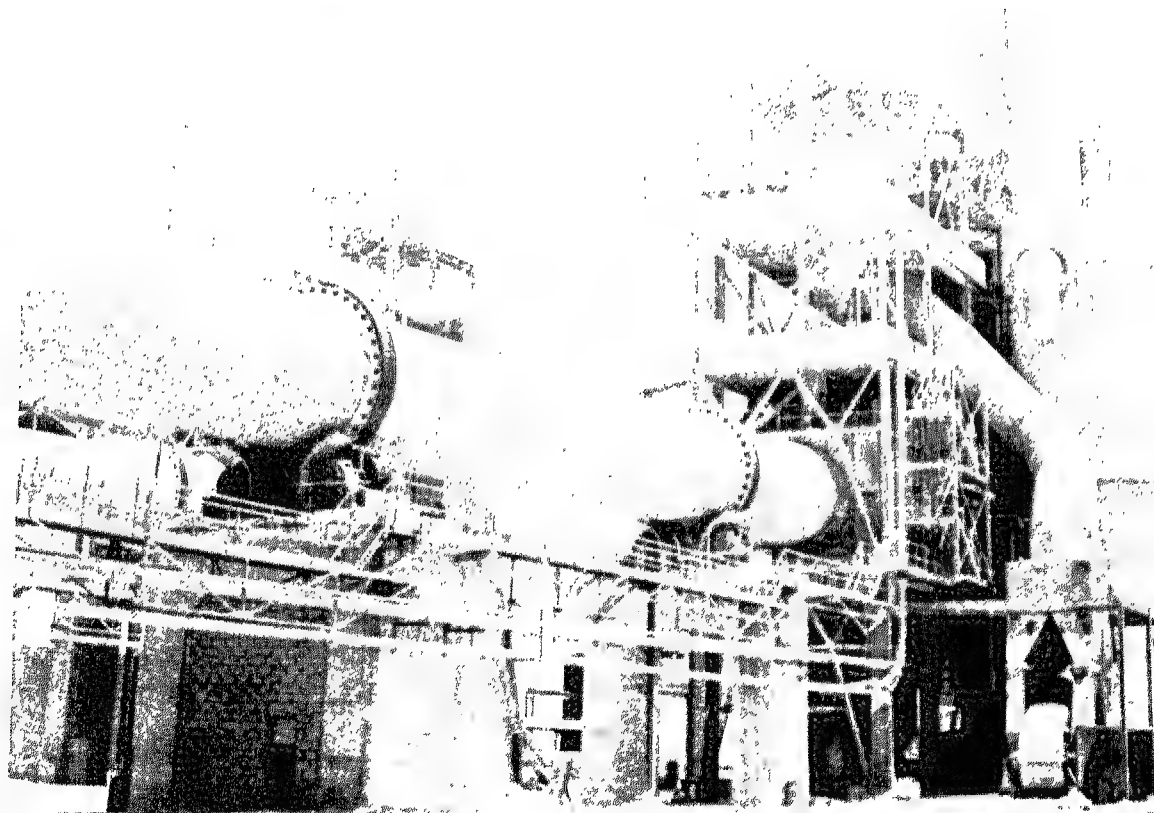
ولكنني رأيت بعد ذلك انها لا تدخل بالفعل ، وانهم مضطرون ان ينشئوا ارسفا يبلغ طولها ستة كيلومترات وعشرة كيلومترات داخل المياه كما يفعلون الآن في «الخبر» حتى تستطيع السفن ان تجد مكانا صالحا للارساء فيه . حتى اذا وصلنا الى الطرف الشرقي من جزيرة البحرين تجلى لنا ان البحر قد ازداد عمقا في هذه الناحية ، وتجلت لنا جزيرة البحرين مبسوطة كأنها ورقة عنب او ورقة تين . وكما تتشعب الشرايين الخضراء على صفحة ورقة التين او العنب لتتشر الغذاء على سطح الورقة ، فكذلك كانت الطرقات تغطي صفحة الجزيرة كأنها شبكة من الشباك ، وقد كان هذا اول ما يلفت النظر . ان استخراج البترول من جزيرة البحرين قد بدأ في عهد مبكر جدا قبل استخراجه من الجزيرة العربية . وتتولاه شركة انجليزية استقرت منذ امد بعيد فعبدت هذه الطرقات التي ليس لها مثيل حتى في الظهران .

وحومت الطائرة فوق مؤسسات البترول ومنشآته الجبارة التي تجلت لنا وهي تتألق تحت وهج الشمس . ها هي ذي غابات الانابيب وخزانات البترول تتجلى بكل ضخامتها وروعتها ، ومؤسسات البترول توحى لك دائما منظر الغابة حيث الاشجار المتكاثفة والاغصان المتعاقبة المتشابكة ، فصناعة البترول كلها تقوم على عملية التقطير وتحليل هذا الزيت الخارج من بطن الارض الى مشتقاته عن طريق تسخينها داخل أنابيب ضخمة ، حتى اذا تحول الزيت الى غاز هوائي راح كل نوع منه ذي كثافة معينة ينفذ الى أنابيب خاصة حيث يعاد تكثيفه فينقلب اما الى بنزين او الى كيروسين او سولار او غير ذلك من الانواع الاكثر كثافة .

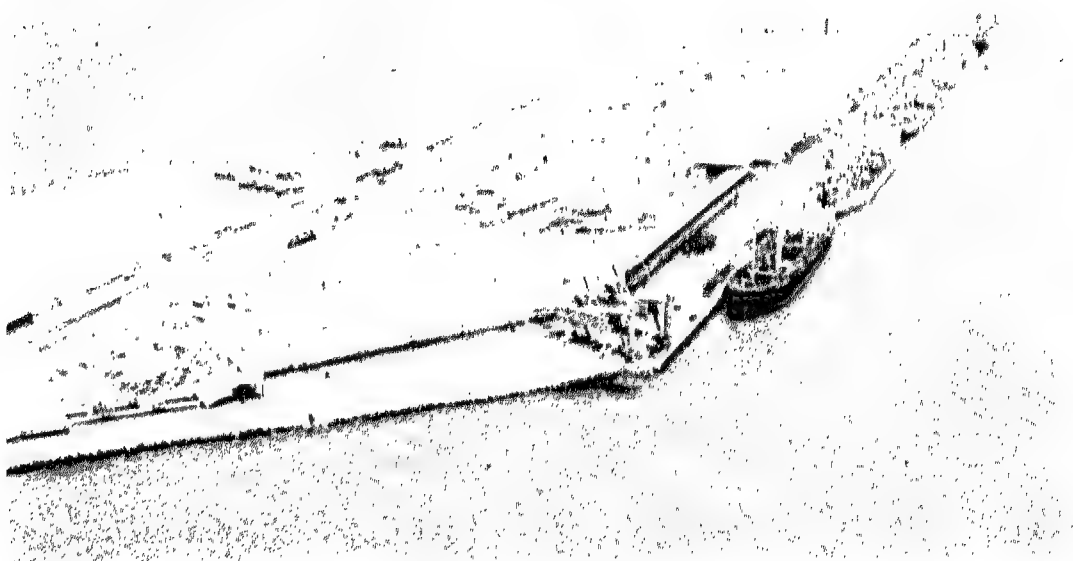
فالعملية كلها تتطلب تسخين الزيت داخل أنابيب وتحليله الى مشتقاته ودفعها الى داخل أنابيب وتكثيفها ثم نقلها داخل أنابيب .



محطة تحلية مياه البحر



مصنع الاسمنت في الرياض



الدمام - الميناء الجديد



السكة الحديد في الدمام

فمصانع البترول ليست في حقيقتها الا غابة من الانابيب • لقد شاهدنا غابة البترول • مدينة البترول حولها ثم لم نر على صفحة الجزيرة شيئا يدل على قيام عمران اللهم الا بيت الامير او قل قصره او حصنه فهو الشيء الوحيد الذي يمكن ان يرى من الطائرة الى جوار مؤسسات البترول ، وغير ذلك لم يكن ثمة شيء فاكتفينا بما رأيناه وطلبنا من صاحبنا الطيار ان يعود بنا الى الشاطئ لنبدا البرنامج الموضوع • وكان اول عناصر البرنامج رؤية بئر في مرحلة الحفر وكان يتعين علينا ان نتعمق في داخل الجزيرة كي نصل الى هذه البئر •

وانتت الطائرة وكرت راجعة وها نحن من جديد نصل الى الشاطئ ونصبح فوق الظهران والنيران المستمرة تتقد فيها ، ونحن الان في طريقنا لنحلق فوق اعظم حقول البترول في العالم غزارة وهو حقول ابو قيق • لقد حدثتلك عن البئر رقم (٧) التي اذهلت الامريكان بغزارة بترولها ، والتي كانت هي نقطة التحول في اعمال الشركة وقد ذكرت لك ان الحقول الذي تقوم عليه البئر السابعة قدرت مساحته بتسعة آلاف كيلومتر مربع وهو رقم ضخيم ونادر ، وبقي ان تعرف ان حقول ابو قيق تبلغ مساحته سبعين الف ميل مربع ، وليس لذلك مثيل في العالم من حيث السعة والضخامة • وهكذا كلما ظن القوم انهم وصلوا الى شيء عجيب عثروا على ما هو أعجب ولذلك فان الامريكان هناك تراهم في حالة اقرب الى الحمى منها الى الحالة الطبيعية ، يحدثونك بكل عواطفهم والفرح والابتهاج والفخر والاعتزاز يلوح في كل كلمة وفي كل مقطع وفي كل حرف ينطقون به • انهم أشبه بالرجل يدخل الى كهف سحري فينبرهمما يرى فيه من نقود فضية ثم لا يلبث ان يرى اكداسا من الذهب فيزداد انبهارا ، ولكنه لا يكاد يفيق من هذه الصدمة الجديدة حتى يرى قناطير مقنطرة من الماس واللؤلؤ ، وهكذا يظل ينتقل فاغرا

فاه كالمشدوه ، بل هو الى المصعوق اقرب . ذلك هو وصف الامريكان الذين يعملون الآن في منطقة الظهران : لقد كانت الشركة تعنز بحقولها في الظهران ، ثم فوجئت بحقول الدمام فادا بالانتاج يقفز كما رأينا قفزة جبارة ، ثم جاء حقل ابو قيق يظهر لهم في كل يوم انه اوسع وأضخم مما كانوا يتصورون ، وكلما ظنوا انهم وصلوا الى نهاية الحقل وجدوه لا يزال ممتدا ، وحتى هذه اللحظة لم يحددوا هذا الحقل بصورة نهائية .

وتتجلى لك ضخامة حقل ابو قيق من الجو في صورة هذه النيران المستعرة التي قلت لك انها عبارة عن احراق هذه الغازات التي يفصلونها من الزيت اتقاء لضررها وشرها . وادا قدرت النيران الناشئة من احراق غازات الزيت في الظهران بنسعة فانها تقدر في حقل الدمام ببضع شمعات ، اما هنا في ابي قيق فانها تقدر بمائة شمعة . لقد كنا نظير فوق منشآت البترول مرتفعين بأكثر من الف قدم ومع ذلك فقد اوشك القلب ان ينخلع من رؤية النيران خاصة - وراحت الطائرة ترتج وتهتز حتى صدق عليها الوصف بانها ريشة في مهب الريح ، وما ذلك الا لتمدد الهواء في هذه المنطقة من جراء اشتعال هذه النيران .

واذا كان ابو قيق هو اغزر حقول البترول في منطقة الظهران فهو في ذات الوقت احدها عمرا ، ولذلك فان العمران في بلدة ابو قيق لم يصل بعد الى الدرجة التي بلغها في بلدة الظهران ، وهذه الحقيقة تبدو ساطعة من الطائرة ، فبينما الظهران توشك ان تكون مدينة كبيرة يتراءى لك من الطائرة نظامها الهندسي الجميل وبيوتها الانيقة واحواض السباحة بها والنوادي الرياضية ، اذا ببلدة ابو قيق وليس فيها سوى منشآت البترول الكبيرة ، ولقد اتيح لي بعد ذلك ان اجوس خلال ابو قيق بالسيارة فوجدتها في دور الانشاء والتخطيط تسير نحو العمران

بخطى سريعة ، ولن يكون بعيدا اليوم الذي تتفوق فيه على الظهرا
بعد ان اصبحت من اكبر مراكز البترول في العالم .

وواصلت الطائرة تحليقها وبدأنا نضرب في سماء الصحراء المقفرة
مرة اخرى فقد كنا ذاهبين لنشهد بئرا لا تزال في مرحلة الحفر . وبينما
كانت الطائرة تطير فوق هذا الخضم ، وكنت اعجب كيف يحددون في
هذا المحيط نقطة بالذات لبدأوا منها الحفر ؟ ومرة اخرى عاد الي
الشعور بأن ذلك يشبه أن يكون كالبحث عن ابرة في اعماق البحر ،
وسألت المهندسين من رفقاءنا ونحن في الطائرة ان يقربوا لي الموضوع
فاجابوني بانهم غير مختصين في هذه المسألة وانني سأقف على كل هذه
المعلومات بنفسني من المختصين عندما نصل الى المكان الذي نقصده .

ولكن هذا المكان الذي نقصده لم يلح في الافق ، وظللنا نضرب
ساعة من الزمن دون ان نصل اليه حتى خيل الينا اننا قد ضلنا الطريق ،
وتشكك الطيار معنا في احتمال انه قد ضل . واخيرا وبعد لأي تأكد انه
لم يضل ، وعادت الينا الثقة ، وبعد قليل اقتربنا من نقطة سوداء انقشعت
بالتدريج عن بئر في مرحلة الحفر ، والبئر في مرحلة الحفر يقوم فوقها
هذا البرج الضخم من قضبان الصلب الذي يستخدم لدق المواسير في
الارض الى اغوار عميقة ثم سحبها من حين لآخر لمعرفة نتيجة الحفر .
وهبطت بنا الطائرة على مقربة من البئر وجاءت سيارة فأقلتنا الى
موضعه ، حتى اذا جئناه ، وجدنا هذا البرج الضخم الذي حدثت عنه
والذي يزداد ضخامة باقترابك منه وتقوم الى جواره كتلة ضخمة من
الآلات اللازمة لتوليد القوى ودق الانابيب في الارض ثم رفعها من
حين لآخر .

ظهر على الفور اننا لم نكن محل ترحيب ، وتقطب وجه المختص
بعملية الحفر وزميله الامريكي يحدثه عن هوايتنا . وبعد تردد اشار الى

مرافقنا اننا نستطيع ان نصعد وصعدنا الى الطابق الاول من هذا البرج حيث يقف العمال ويدور العمل •

وكان اول ما لاحظناه اجتماع بعض العمال وعلى رأسهم المختص بالحفر حول انبوبة مطاطية لا يزيد قطرها عن نصف بوصة ، وقد امسكوا بها وغمروا طرفها في وعاء صغير به ماء ، وراحوا يرهفون السمع ويحملقون بالاعين ليروا ماذا سيحدث في الماء ولم تكن ندرى ان الله قد شاء ان يهييء لنا فرصة ذهبية وهو ان نصل في اللحظة التي يخفق فيها قلب حافر البئر ومن معه من العمال •• اللحظة الرهيبة التي يتصورون فيها انهم وصلوا الى طبقة البترول ، ويتوقعون ان يروا ما يدل على ذلك • وهذه الانبوبة المطاطية التي امسكوا بها متصلة بهذه الانابيب الفولاذية الغائرة في الارض الى اعماق سحيقة ، فاذا اقتربت هذه الانابيب من المناطق التي يوجد بها البترول اندفعت الغازات في الانابيب الفولاذية ثم في الانبوبة المطاطية المغمورة في الماء فيظهر أثرها في الماء على شكل فقاعات ، فاذا ظهرت هذه الفقاعات كان ذلك هو البشير على قرب البترول ، اما اذا لم تظهر فان ذلك هو الدليل على انه يجب المضي في الحفر الى اغوار اعماق على اساس ان منطقة البترول لم تأت بعد او ان يكون الدليل على ان المنطقة ليس فيها بترول بالمرّة •

وباستطاعتك ان تتصور مدى توتر اعصاب العمال والمشتغلين بعملية الحفر وخاصة المشرف على العملية في هذه اللحظات الحاسمة عندما يقترب الى العمق الذي يظن ان البترول فيه ، ثم يأمر بوضع انبوبة المطاط في الماء لكي يكشف هذه الحقيقة •

وفي هذه اللحظة الدقيقة وصلنا وقد شرح لنا مرافقنا الموقف بسرعة ثم راح يجحظ بعينية الى وعاء الماء الذي وضع فيه طرف الانبوبة وراح ينظر ورحنا ننظر معه ، فلم يبد في الماء اي اثر لفقايق ، وأمر

رئيس العمل ان يضيفوا بضعة امتار من المواسير ويستأنفوا دقها في الارض وسرعان ما تمت هذه العملية ومرة اخرى وضعت الانبوبة في وعاء الماء لاكتشاف الفقاعات فلم يكن ثم شيء ، فاذا به يصدر امره بسحب الانابيب كلها من باطن الارض ، اي سحب الانابيب غائصة في الارض ، طولها سبعة آلاف قدم ، وذلك لكي يعرف نوع الطبقات الارضية التي وصلت اليها الانابيب بامتحان العينات التي تكون قد نفذت الى داخلها ، ويقف على السبب في عدم ظهور البترول . ولم يكد المشرف على العمل يعطي الامر بسحب الانابيب حتى بدأت الروافع الضخمة في سحبها من باطن الارض فيقبل العمال عليها ليفكوها من بعضها لانها ليست سوى انابيب طول كل منها خمسة امتار وتتصل بأختها بواسطة (قلاووظ) في نهاية كل انبوبة منها .

وأقبل علينا المهندس الامريكي وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة لاول مرة ، وراح يطوف معي ليريني الآلات التي تولد القوة اللازمة لادارة العملية ، ويريني الطين المخصوص اللازم لمعالجة الحفر . ولما كان دوي الآلات يحول بيننا وبين سماع شيء فقد اقترح علينا المهندس ان نغادر هذا المكان وان نذهب الى المكتب والمعمل لشرح لي ما اود ان اعرفه .

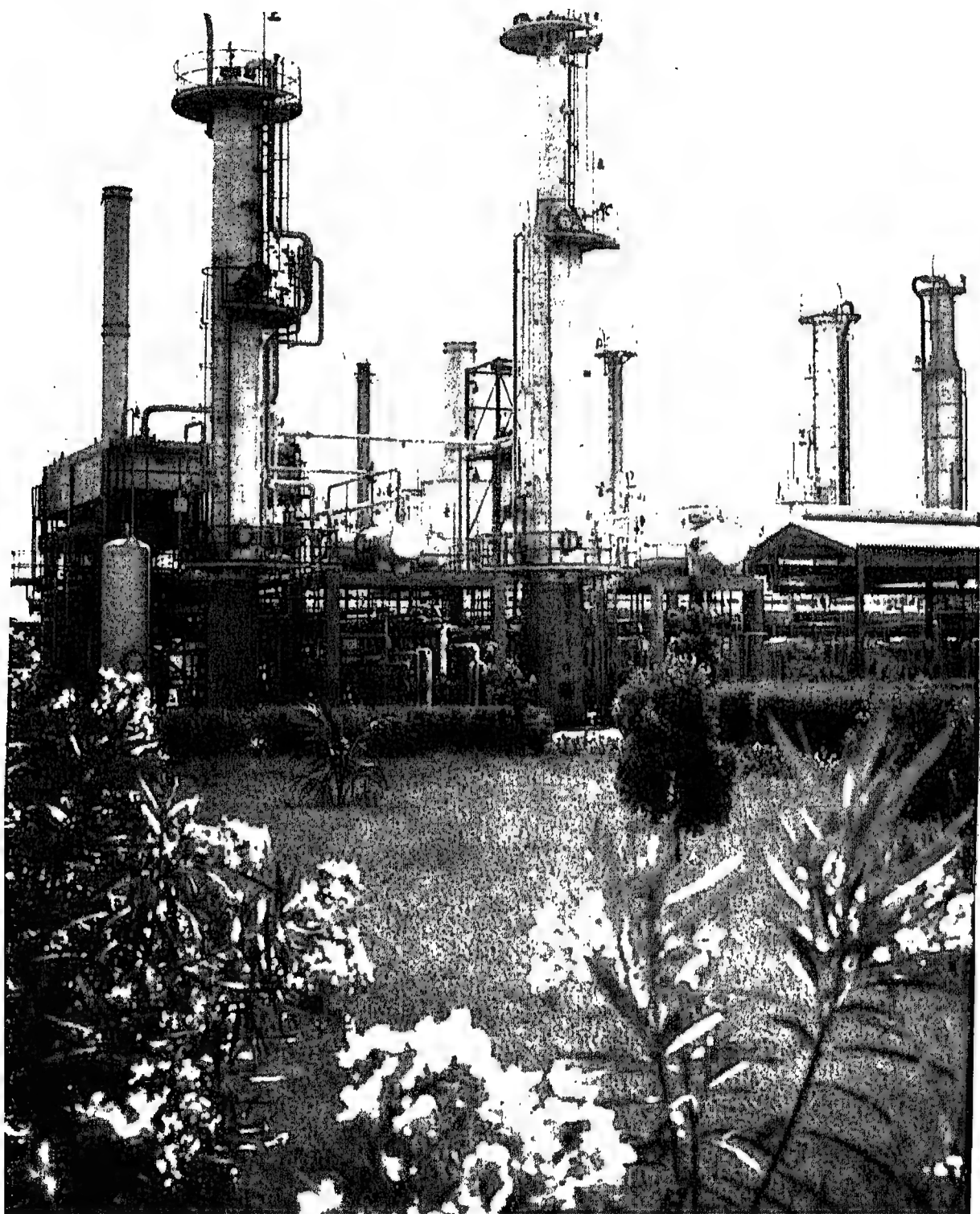
واعتذر لي المهندس عن انه لم يحسن استقبالنا فقد كان متوتر الاعصاب بسبب انتظاره ظهور الغاز ، وهي اللحظة التي يترقبونها طوال بضعة اشهر يمضونها في الحفر قبل ان يصلوا اليها ، وكان عليه ان يصدر قرارا خطيرا في الموضوع ، يأمرهم بمواصلة الحفر ام يأمرهم بسحب الانابيب كما حدث لمعرفة ماذا حال دون ظهور البترول ، والقرار بسحب الانابيب بعد الوصول الى هذا البعمق معناه عمل بضعة ايام متواصلة في سحب الانابيب وفحص ما في نهايتها من طبقات الارض ،

ثم اعادتها من جديد الى حيث كانت ، ومواصلة الحفر مرة اخرى ، قال لنا المهندس : فاما الآن وقد اصدرت القرار فقد انتهت من مهمتي ، واصبحت لا عمل لي حتى ينتهوا من اخراج الانابيب ، وهو ما يستلزم امدا طويلا ، ولذلك فاني اضع نفسي تحت خدمتكم •

قلت له : انني اريد ان اعرف كل شيء ، ولماذا اخترتم هذه المنطقة بالذات لتحفروا فيها ؟ وما هي الاعمال الفنية التي تقوم عليها عملية الحفر ؟ واليك ما قاله لي وما طالعته بعد ذلك في الكتب الخاصة بهذا الموضوع •

عملية التنقيب عن البترول بالتعرف على المناطق التي يظن احتمال اسباب تكون البترول والمقول الآن : ان زيت البترول ليس الا ثمرة تحلل العناصر الحية في باطن التربة والتي كانت في الاصل اسماكا وحيوانات بحرية ونباتات (١) واعشابا ، ويمرز هذا الرأي انهم كثيرا

(١) كانت سطلان البحار مرتعا لكثير من الطحالب والاسماك ، تقضي ما قدر لها من عمر في هذه الحياة ، ثم يلحقها الموت ، فتتراكم جثثها واجسادها على القاع ، ويرتع الخلف ما شاءت له المقادير ثم يلحق بالسلف ، كومة فوق اخرى ، والى هذه القيعان التساوية تندفق الامواه والسيول البرية حاملة طميا وفتاتا من الصخور ، وجارفة اجداتا اخرى وفروعا واوراقا واغصانا ، وقاع الشاطئ لا يمتلئ ولا يتخمد ، بل كلما بقي فيه حمل وتراكت عليه كومة ، وارتفعت عليه الرواسب ، انخفض القاع انخفاضاً بطيئاً ليحفظ العمق نابتا . ولتاتي كومة اخرى فوق سابقتها . وهكذا تعالت وارتفعت وعظمت هذه الرواسب بما فيها من رمم واجداث ومواد عضوية . ولو كشف عن ابصارنا الغطاء ، وقدر لنا ان ننفلد ببصرة واعية الى ذلك الماضي السحيق ، لراينا هذه المواد العضوية جميعا لا تكاد تسرع اليها بكتريا التعفن لتتلفها حتى تحتضنها الرواسب



مصفاة بترولية

ما يجدون في زيت البترول كثيرا من المواد العضوية من بقايا الاسماك والاحياء المائية . على ان هناك آراء جديدة تفسر تكوين زيت البترول تفسيرات اخرى كقولهم انه وليد عمليات من التفاعل الكيميائي بين ما ينطوي عليه جوف القشرة الارضية من الماء وكربونات الماء .

وأياً ما كان منشأ البترول فقد اصبح للجيولوجيين الان علامات يستدلون بها على وجود البترول في مكان من الامكنة ، واضخم هذه العلامات ان ترى طبقات الارض في مكان ما متقوسة بحيث تشبه القبة ، فاذا وجدت طبقات الارض على هذه الصورة في منطقة من المناطق اقبل عليها الجيولوجيون يدرسونها بالتفصيل ، فيمتحنون ترتيب الطبقات الارضية فيها ، فاذا كانت هذه الطبقات مرتبة بطريقة معينة زاد ذلك من احتمال وجود البترول ، ذلك ان التجارب قد دلت على ان البترول يوجد

المعدنية من طمي وطنين فتحميها من التلف والفناء .

ثم انتهى عصر ترسيب المواد العضوية ، واخذ الفتات الصخري يرقد فوق هذه الاجداث والرمم طبقة اثر طبقة ، واتاخذت بكلكتها اثقال شداد ، فكان الضغط وكانت الحرارة ، فاستقطرت من هذه الحياة القديمة هذا الزيت الساحر الذي يقولون عنه « الذهب الاسود » ويسمونه زيت الصخر . وما هو من الصخر في شيء ، وما تجوز عليه التسمية الا كما تجوز ان تسمى الوديعة باسم من اودعتها عنده ، لا باسم مودعها وصاحبها الشرعي ، ولو انصفنا لاسميناه « زيت الاحياء القديمة » .

ولو ان رجلا دخل الى قلب الارض في ذلك الحين ، وضمته بهذا العنف الذي يهري اللحم ويخلله لكان اليوم وقودا يدفع بسيارته في هذه الحياة الدنيا .

ولقد استطاع بعض العلماء ان يقلدوا ما حدث في الطبيعة ، ليستقطروا الاجداث والاموات والمواد العضوية بالضغط والحرارة في معاملهم ، فنجحوا وانتجوا البترول (نقلا عن كتاب قصة البترول قصة البترول للاستاذ يوسف مصطفى الحاروني) .

تحت طبقات معينة من المواد التي تتكون منها القشرة الأرضية • وتبدأ دراسات الطبقات في باطن الأرض بدراسة سطح الأرض نفسه ، فهناك علاقة كبيرة بين سطح الأرض وما تلييه من طبقات ، فإذا وجد الجيولوجيون على سطح الأرض ما يشجعهم ، ذهبوا في بحثهم خطوة أبعد فاستعملوا ما انتهى إليه العلم من أجهزة دقيقة كالسسموجراف الذي ينبئ • بذبذباته على صورة مخصوصة عن زيادة الاحتمال في العثور على البترول ، فينتقل البحث خطوة أعمق حيث يشرع الجيولوجيون في حفر آبار صغيرة على أعماق قريبة تصل أحيانا إلى مائتي قدم أو أكثر أو أقل ، فيدرسون طبقات الأرض في هذه الثقوب الصغيرة ، فإذا وجدوها على الترتيب المألوف والذي يسبق وجود البترول زاد ترجيحهم لوجوده • وبعد حسابات وتقديرات معينة يقرر الجيولوجيون الاقدام على المرحلة الأخيرة مرحلة حفر بئر كاملة والتي هي الحكم الفاصل النهائي لمعرفة ما إذا كان يوجد زيت بالفعل أو لا يوجد فيحددون للحفار البقعة التي يبدأ فيها عمله •

وتستجلب هذه الآلات الضخمة ويركب هذا البرج الشامخ من قضبان الصلب الذي يبلغ ارتفاع كل منها خمسين مترا في المكان المعين ، ثم يشرع في دق الاسطوانات في الأرض • وقد أصبحت هذه الاسطوانات الآن لا تدق وإنما تبرم الأرض برما بواسطة آلات محرك قوية جدا • وهذه الآلات تحرك قرصا أفقيا فوق فوهة البئر ، وهذا القرص تنزل منه اسطوانة في أسفلها رأس البريمة الحافرة ، وحين يدور هذا الرأس ، القوي الصلابة ذو الأسنان البارزة المتينة ، يأكل في الصخور بقاع البئر فيبريها ، وتلك الاسطوانة التي تعمل كساق للبريمة مكونة من قطع ، كلما قاربت قطعة نهايتها ركبت بطرفها العلوي قطعة أخرى وهكذا ، ورأس البريمة نفسه قد ينبري ويثلم ويرفع الساق قطعة قطعة

ليوضع رأس آخر ويعاد شحذ الاول وتستأنف عملية الحفر .

غير أنه كلما تعمقنا في باطن الارض وارتفعت جدران البئر واستطالت ، خشي معها على الانهيار والسقوط ، لذا وجب ان تحمي هذه الجدران وان تبطن باسطوانة حديدية تمنعها من الانقراض وسد البئر ، ووضع هذه الاسطوانة يجعل فتحة البئر واتساعها اضيق من ذي قبل ، فتستعمل آلة حفر اصغر من الاولى ، حتى اذا بعد بها الحفر ، وجب تبطين الجزء الجديد ، دفعت اسطوانة ثانية اضيق من الاولى وأبعد عمقا ، لتغلف هذا الجزء الجديد ، وليس التغليف الثاني مقصورا على الحفر الجديد ، بل لا بد ان يبدأ من سطح البئر ، فترى على السطح حلقات متداخلة ، الخارجية منها لاسطوانة التغليف الاولى ، والثانية تبطن الاولى وتذهب بعيدا لتبطن الحفر الجديد ، والثالثة شأنها مع الثانية كشأن هذه مع الاولى وهكذا ، تضيق البئر شيئا فشيئا كلما توغلنا في الحفر .

ومن الواضح ان اسطوانة التغليف لا يدفع بها كاملة بهذا الطول الكبير دفعة واحدة الى داخل البئر ، بل تدفع في قصبات متوالية. كلما نزلت واحدة وقاربت نهايتها ، امسكت من طرفها العلوي على السطح ، وركب اليها طرف القصبة الثانية والثالثة وهكذا (١) .

هاتان هما العمليتان الرئيسيتان في حفر البئر وهما عمليتا الحفر والتبطين وهناك عملية ثالثة اكثر صعوبة ومشقة من هاتين العمليتين وهي عملية تنظيف البئر من هذا الفتات الناتج باستمرار من عملية الحفر ، وسبيلهم الى هذا التنظيف ان يدفعوا بطمي سائل خلال اسطوانة الحفر الى قاع البئر، ويدفعوه بقوة ضاغطة فيحمل ذلك الفتات ثم يخرج

(١) راجع كتاب قصة البترول - المرجع السابق الاشارة اليه .

به عن طريق الفراغ الواقع بين اسطوانة الحفر وبين جدار البئر •
 انتقل بنا المهندس بعد ذلك الى معمل البحوث حيث أراني العينات
 المختلفة التي يستخرجونها من باطن الارض اثناء الحفر وكيف يفحصونها
 تحت المجهر ليحققوا خصائصها وليعرفوا اذا كانوا يسرون نحو الهدف
 او انهم ضلوا الطريق • ويلقى الجيولوجيون والمنقبون عن البترول
 صعوبات يشيخ لهولها الولدان في العثور على اولى آبار البترول في
 منطقة من المناطق ، اما بعد ذلك فان العملية تصبح اكثر سهولة ، ذلك
 أن هذه البئر المكتشفة تعين لهم طبقات الارض التي تسبق بحيرة البترول
 في هذه المنطقة وترتيب هذه الطبقات ونوع الصخور والعمق الذي
 توجد تحته هذه البركة ، فيساعدهم ذلك كله عندما يشرعون في حفر
 بئر ثانية ، اذ انها تتقارب في أغلب الاحيان وتتحدد خصائص كل منطقة
 وكل حقل من الحقول فتسهل العملية •

وعندما تصل الانابيب الى بحيرة البترول تندفع الغازات بما في
 باطن الارض من قوة ضاغطة ، ولا يلبث زيت البترول ان يندفع على
 أثر الغازات بقوة هائلة بحيث يبادر المنقبون باحكام سد فوهة البئر على
 الفور كي يحولوا دون تدفقه وتبدده في الرمال ، ثم يركبون على البئر
 من الاجهزة والمضخات ما يتحكمون به في ناتج هذه البئر كما قدمنا ،
 فلا يسمحون بتدفق البترول منه الا بمقدار معقول •

ومن أراد الآن ان يذهل لمعرفة مدى ما تخرجه البئر من البترول
 في منطقة الظهران فما عليه الا ان يعرف ان ما تخرجه بئر البترول في
 امريكا لا يزيد عن ١٢ برميلا في اليوم ، بينما تخرج البئر في الظهران
 خمسة آلاف برميل في اليوم ، وهي نسبة فاحشة في الارتفاع من شأنها
 ان تعرض ارصدة البترول في حقول جزيرة العرب الى الاضطراب بل
 وخطر الاستنزاف • ولذلك فان شركة ارامكو تعمل على حفر آبار

جديدة في الحقول المكتشفة لتخفف الضغط عن الآبار التي تنتج في الوقت الحاضر بهذه القدرة العالية •

وكانت قد أتاحت لي الفرصة ان ارى بالامس واليوم عينات من زيت الخام المستخرج ، فلفت نظري على الفور قلة كثافتها على خلاف زيت البترول المصري الذي شاهدته يوما من الايام في معامل التكرير بالسويس فاذا به كثيف غليظ ، فأشرق وجه محدثي المهندس بالاهتمام وأنا أقول له هذه الملاحظة وقال لي : ان مرجع ذلك هو توفر عنصر الاسفلت في الزيت المصري وانعدامه من الزيت العربي (١) • وأبدى اسفه لخلو الزيت العربي من هذا العنصر الهام الذي يحتاجون اليه لتعبيد الطرقات • وقال لي : كم تتمنى لو أتيج لنا ولو بئر واحدة تخرج زيتا يحتوي على عنصر الاسفلت لشدة حاجتنا اليه ، فلا ميسل لنا الى تعبيد الطرقات الا بالصورة التي تراها وهي ليست وافية بالمرام • وطريقتهم في التعبيد ان يرشوا يترولا خاما على ارض الطريق كل بضعة ايام فيثبت اجزاءها ويجعلها قادرة على تحمل الاثقال الضخمة التي تمر عليها ، وغني عن البيان ان هذه الطريقة تكلف كثيرا جدا فضلا عن انها لا تهيب طرقات من الدرجة الاولى ، وان كانت تفسي بالحاجة في الوقت الحاضر •

وخلو زيت البترول من الاسفلت معناه ارتفاع كمية البنزين والكيروسين التي يمكن استخراجها من الزيت ، فهو من هذه الناحية ائمن من زيت البترول المصري الذي يحوي على كمية ضخمة من الاسفلت على حساب البنزين والكيروسين بطبيعة الحال ، ولكن انعدام الشيء دائما يجعل له قيمة ثمينة فانعدام الاسفلت بالكلية في الزيت

(١) وجود الاسفلت في زيت البترول يدل على انه لم يستكمل نضجه وتقل كمية البنزين والكيروسين التي يمكن استخراجها منه •

العربي جعل القوم يتحسرون ويغبطوننا لتوفر الاسفلت في زيتنا •

الى رأس التنورة :

انتهت زيارتنا لهذه البئر « تحت الحفر » وحصلت على كل المعلومات العامة التي تهمني في هذه الناحية ، فعدنا الى الطائرة وامتطيناها فطارت بنا صوب الشاطئ مرة اخرى في طريقها الى رأس التنورة حيث تقوم مصانع التكرير الكبرى التي توشك ان تفوق مصانع عبادان الايرانية على الجانب الآخر من الخليج العربي والتي كان يظن انها شيء لا يحلم بالاقتراب منه فضلا عن التفوق عليه •

ورأس التنورة كما يتجلى من اسمها هي لسان من الارض يمتد وسط الماء ، وقد اختارتها شركة ارامكو لتبني عليها معملا لتكرير البترول لوقوعها في مكان مناسب لعمليات الشحن والتفريغ البحريتين • ووصلنا اليها بعد ساعة ونصف بالطائرة فنزلنا بالمطار الملحق بالمنشأة ووجدنا انفسنا على التو نواجه شيئا يتضاءل الى جواره كل ما رأيناه حتى الآن •

وقد احتاج الامر لكي نطوف بأرجاء المؤسسات الى استخدام السيارة في تنقلاتنا ، فراحت تنطلق بنا وسط الآلات والانابيب واجهزة التقطير ومولدات الحرارة والمكثفات • وكان منظر خزانات البترول التي يستقر بها البترول بعد تكريره شيئا لا مثيل له في اي بلد من بلاد العالم ، ذلك ان بلاد البترول الاخرى تتصرف على الفور في الكميات الناتجة من حقولها • اما هنا فلان البترول مخصص للاستهلاك عبر البحار ، ولان الوسيلة الوحيدة لنقله هي ناقلات البترول التي قد يتأخر وصولها لسبب من الاسباب ، اصبح لا غنى عن انشاء مستودعات ضخمة لحفظ اكبر كمية من البترول بها ريثما يتم شحنها ، فكانت هذه المستودعات ، التي تضاءل حجمها من كثرة عددها مع انك لو رأيت

مستودعا واحدا منها على حدة لهالتك ضخامته ، ولكن عندما ترى منها مئات متجاورة تنسى حقيقة حجمها •

ولقد رأيت في مصر كما أشرت من قبل ، معمل تكرير البترول التابع للحكومة المصرية في السويس ، وفي طريق ذهابك اليه ترى منشآت شركة شل للتكرير قائمة ، ولو ضم معمل تكرير شركة شل الى معمل تكرير الحكومة لما زاد على أن يكون جزءا من عشرين جزءا بالنسبة لمعمل التكرير في رأس تنورة • وتتضاءل هذه النسبة لتصل الى اقل من جزء من مائة جزء اذا نظرنا الى مجموع المنشآت التكميلية في رأس تنورة : فمن ورش لاصلاح الآلات الى مخازن للمهمات ومدارس لتعليم العمال العرب مختلف انواع التعليم الخ •••

حتى لقد رأينا مدرسة لتعليم قيادة السيارات طبقا للاصول الفنية الحديثة ، لا كما هو الحال في مصر حيث يتعلم الناس القيادة بالاجتهاد نقلا عن بعضهم •

وقدم لنا طعام الغداء في مطعم كأحد المطاعم الامريكية الكبيرة الذي يتسع لبضع مئات يتناولون الطعام في آن واحد • وعلى مائدة الطعام سمعنا نفس الشكوى التي نسمعها في كل مكان اذا ما كنت في منطقة الظهران الا وهي ان غزارة البترول المستكشف يوما بعد آخر تفسد دائما على القوم خططهم ومعداتهم •

ان شركة أرامكو كانت تتولى تكرير ما ترغب في تكريره من البترول محليا في معامل البحرين ، ولذلك فقد مدت اليها خطا من الانابيب كان يتجلى لنا في اثناء ركوبنا الطائرة •

ثم رُئي ان معامل البحرين لا تستطيع ان تفي بالحاجة ، فاستقر رأي شركة أرامكو على انشاء معمل خاص بها واختارت رأس تنورة

لهذا السبب ، ورأت ان تجعل انتاج المعمل يقدر بخمسين الف برميل في اليوم . وقد لوحظ في هذا القدر بالاضافة الى ما يكرر في البحرين أنه يفي بكل الحاجيات المطلوبة من الزيت المكرر ، وتم الفراغ من انشاء معمل التكرير في رأس تنورة في سنة ١٩٤٥ م ، وكان يظن ان الامر لن يحتاج الى تشغيل المعمل بكل طاقته ، فما هو الا عام آخر وعام آخر حتى كانت الشركة مضطرة الى مضاعفة انتاج المعمل ، ثم الى ما هو اكثر من الضعف فأصبح الآن يكرر ١٢٠ الف برميل في اليوم ، وعند كتابة هذه السطور لا بد ان يكون هذا الرقم قد جاوز المائة وخمسين الف برميل . واليك بيان بانتاج معمل التكرير في السنوات المتعاقبة :

السنة	القدر بالبرميل سنويا
١٩٤٥	٣٤٥٢٣٦٣
١٩٤٦	٢٩٢٩٧١٠١
١٩٤٧	٣٩٠٦٥٠٦٠
تقدير ١٩٥١	٤٦٧٠٠٠٠٠

وهكذا تكرر لك هذه الارقام ذات القصة وهي أن نمو الانتاج في منطقة الظهران وغزارته تفوق كل ما يمكن ان يطوف بالحساب او الخيال . وقد وقع في يدي تقرير الشركة عن عام ١٩٤٨ فاذا به ينص على أن مقدار ما كرر بالفعل في هذه السنة ، القدر الذي كان محددًا لبلوغه عام ١٩٥١ .

بتروال الشرق الاوسط :

ويحسن بنا وقد وصلنا الى هذا القدر أن نحدثك بالتفصيل عن كميات البترول في الشرق الاوسط ونسبتها لما يوجد من البترول في العالم ، لتقدر مدى ما اصبح للشرق الاوسط من خطورة .

لقد أصبح البترول هو المادة الاساسية لحياة العالم الميكانيكية في الوقت الحاضر . فالطائرات والسيارات والقطارات والآلات كل هذه تدور بالبترول ومشتقاته ، ومستقبل امة من الامم سواء في الحرب او السلم يتوقف على كميات البترول التي تستطيع ان تسيطر عليها بعد ان اصبح البترول مادة اساسية لمئات الصناعات (١) ولقد استطاعت

(١) حين تسرح الطرف في حجراتك وحيشما تمر ببصرك فثمة اصبع للبترول : طلاء الحائط الزيتي ، والمشمع الذي فرشت به الارض ، وما يدون في حجرك من ادوات البلاستيك من زر الكهرباء او فرشاة او مشط ، انما خرجت جميعا عن البترول . ولو ذهبت مثلا الى الحمام ، فالبترول هو الذي رفع اليك الماء ، واليوم يمدك بالصابون ، اذ عنه تخرج الاحماض الدهنية التي تقوم عليها هذه الصناعة . ولو حلقت للحيه فكريم الحلاقة قد دخل في تركيبة منتجات البترول . وما تضعه على شعرك من « البريانتين » اسهم في صنعه البترول . وهذه مائدة الفطور قد اعدّها لك وانضجها موقد البترول . ولو تصفحت جريدة الصباح فانما قد خطها اليك البترول ، هو الذي جمع اخبارها ومدها بأحبار الطباعة ثم حملها اليك بما سيره من وسائل المواصلات .

فاذا ما بدأت في ارتداء ملابسك فاذكر البترول ذكرا طيبا ، اذكره فيما ترتديه من الجوارب الصناعية ، واذكره في ملابسك الصوفية التي شحمها البترول فسهل نسجها ، ثم صبغها ورسمها باللون الذي تفخر به وتتيه ، وحذاؤك لقد صنع من الجلد الذي عولج « بزيت الجلد » عند صناعته ، وانك لتنظفه وتلمعه بما يمدك به البترول من « الورنيش » . =

= ولو خرجت الى عربتك او وجدت لقدمك موصعا في السيارة العامة فانما تركيب البترول ، فهو الوقود الذي يحرك هذه الدابة الآلية ، وهو الذي يلبس مفاصلها الحديدية بالتشحيم ، ويفسل بمنظفاته جوفها وامعاءها ، واليوم ينبري ليضع لها عجلاتها من =

الولايات المتحدة وهي اعظم الدول الحديثة انتاجا ان تنتج في بلادها من البترول ما استطاع حتى الآن ان يسد حاجاتها المتزايدة ، وان يساعدها على هذا التطور الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية . وكان لدى الولايات المتحدة فوق ذلك كله فائض استطاعت ان تصدره للعالم فكانت من أعظم الدول المصدرة للبترول في العالم ، ولكن لكل شيء نهاية ، وقد وصلت نهاية الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الباب في سنة ١٩٤٧ م ، فبالرغم من كل المجهودات التي بذلتها الولايات المتحدة في التنقيب عن حقول جديدة للبترول ، وبالرغم من التحسن العظيم في وسائل التنقيب والانتاج فان سنة ١٩٤٧ م قد شهدت نقطة التحول في تاريخ الولايات المتحدة ، فأصبح ناتج البترول فيها يسد

= المطاط الصناعي الذي يخرج من البترول ، وحتى الطلاء الذي يزين العربة كان للبترول شأن فيه . وسوف تنطلق بك على طرق رصفها وعبيدها ما نقل من مشتقات البترول من الاسفلت والقار !
وانك لتخلف وراءك زوجتك واولادك يعملون بالبترول :

ينضجون الطعام ، وينظفون الاثاث ويمسحون ارض الحجرات بمركبات البترول ، فالكرومين في المواقد ، والورنيش المعد لتلميع الاثاث والآخر المعد لتنظيف الارض يحتويان من مركبات البترول وشمعه على ما يعيد الجدة والروث . ولو كان لهم ان يقوموا بشيء من الكي ، لنظفوا الملابس بالبترول فزالت عنها اقدارها . وسخنوا آلاتهم بوقود ، فاعادت اليها بهاءها وانسجامها ، ثم يعيدونها الى « دولاب » الملابس الذي حفل بالنفتالين البترولي ليقتل الحشرات ويقي الملابس شرها ! . وانت تذهب الى مكتبك فتنظر الى التلفون الذي يصلك بالعالم الخارجي ، ويجمع الناس باسرها فيضعها في تلك الآلة الصغيرة فوق مكتبك . لقد صنع هذا الصندوق الاسود من البترول . ولو اشعلت سيجارة من ولاعتك الفاخرة فانما ذلك لانها عمرت بالبترين المأخوذ من البترول . واذا شئت ان تأخذ =

حاجتها للاستهلاك ولا زيادة ، بل ذهب الامر الى أبعد من ذلك فلم يزد الانتاج بحيث يكفي حاجة الولايات المتحدة وظهرت الازمة في بعض المناطق . وقد اصبح من الحقائق المقررة الآن ان الولايات المتحدة ستتحول الى دولة تستورد البترول . وباستطاعة الولايات المتحدة أن تستورد هذا البترول من حقول البترول في امريكا اللاتينية ، من هذه المنطقة حول البحر الكريبي ، ولكن اوروبا الغربية التي وقعت الآن تحت وصاية امريكا والتي تحتاج بدورها الى كميات كبيرة من البترول ، لم يعد هناك سبيل لمدها بحاجاتها من البترول الا من الشرق الاوسط .

وكذلك الحال بالنسبة الى قارتي افريقيا وآسيا . فهاتان القارتان لا بد لهما ان تعتمدا اعتمادا كلياً على بترول الشرق الاوسط .

وحينما كانت انجلترا مهيمنة على العالم كانت هي صاحبة الكلمة الاولى في بترول هذا الشرق الاوسط ، فكانت حقول البترول في

= قسطاً من الراحة وضايقتك الذباب فاستعن عليه بالبترول !
وقد تقصد الطبيب فيطهر جرحك بمشتقات البترول ،
ويصف لك الدواء الذي يشفيك فتعجب ان البترول قد اقم
انفه في تركيبه .

وفي المساء تداعبك شركة النور فتقطع عنك التيار الكهربائي
(الذي هو وليد محركات تدار بالبترول) فتستنجد «بلبة الجاز»
او بعض الشمع لينير لك السبيل . . وليس ذلك كله سوى البترول .
واخيراً فان زوجتك العزيزة حين تتجمل انما تضع بعض
مشتقات البترول فوق شفتيها فتنتطق بحرارة الشباب . وتنعم
الخد بكريم اسهم فيه زيت البترول وتسوي الشعر وتزجج الرموش
والحواجب بما اخرج من مركبات البترول ، ثم تتطيب فتفري وتنث
برائحتها الذكية التي لن تصدق ان البترول قد دخل فيها . .
وهكذا تدين بجمالها لزيت البترول سر المرأة وسحر الرجل في
العصر الحديث . . . (قصة البترول ، المرجع السابق) .

توجد في الشرق الاوسط اي ٣٣ بليون • اي انه اصبح من المقرر الآن
أن الشرق الاوسط يملك نصف بترول العالم وذلك على التفصيل الآتي :

٩ بليون	الكويت
٦ بليون	العراق
٧ بليون	المملكة العربية السعودية
٩ بليون	ايران
١ بليون	دول أخرى

المجموع ٣٣ بليون

واذا علمت ان تنقيب البترول في المملكة العربية السعودية لا يزال
في مرحلته البدائية جدا ، وان تقدير ما بها من مخزونات البترول انما
هو تقدير ما يوجد في منطقة الظهران التي تم الكشف عنها ، وهذه لا
تؤلف الا جزءا صغيرا جدا من منطقة الامتياز الممنوحة للشركة للتنقيب
فيها ، ومساحتها تبلغ اربعمائة الف كيلومتر مربع اي ما يزيد على ولايتي
تكساس وكاليفورنيا معا ، ولا تزال هذه المساحات التي لا اول لها ولا
آخر عذراء لم تطرقها اقدام العلماء حتى الآن ، بل لم توضع لها
الخرائط التفصيلية بعد ، لأدركت أن المتوقع ان يكون في جزيرة العرب
من البترول ما يزيد اضعافا مضاعفة على ما يظن انه بها حتى الآن •

★ ★ ★

ذلك ما كتبته منذ ربع قرن ، ولم تزد الايام الا تحقيقا لكل ما
جاء فيه وبنفس الاسلوب الذي لم يتبدل ولم يتغير • فكلما ظن ان
الامر قد وصل الى نهايته ، اذا باكتشاف جديد يتضاءل الى جواره كل
ما سبقه من اكتشافات • فقد كان حقل بقيق العجيب في مراحله الاولى
عام ١ ، ولم تلبث الشركة ان اكتشفت حقلا جديدا في

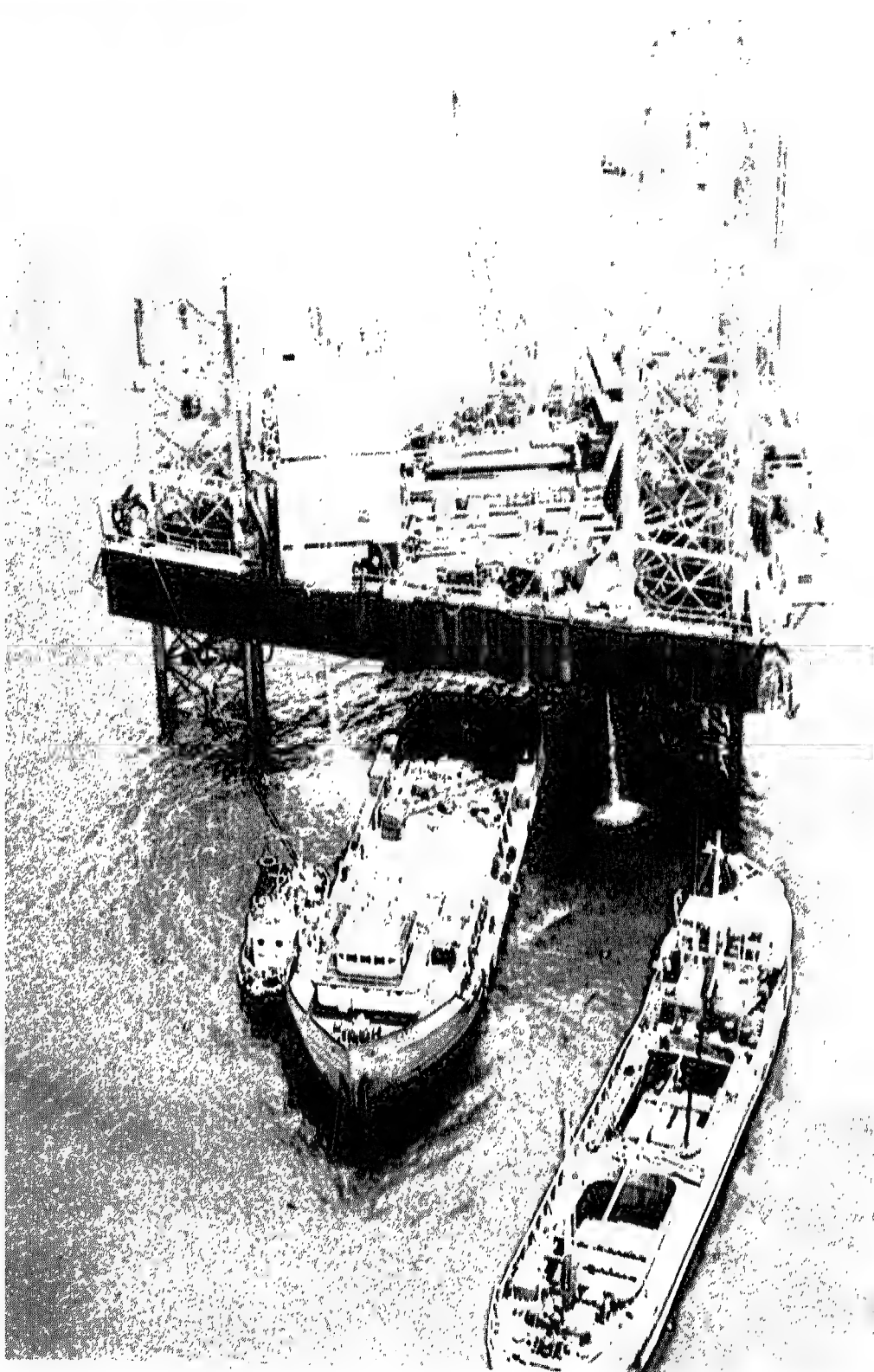
« السفينة » أذهل بدوره منتجي البترول في الدنيا كلها بغزارة انتاجه التي لا مثيل لها ، وحسبك ان تعلم أنه « احدى السنوات (١٩٦٥) كان ينتج ٤٧٢ ألف برميل على ان حقل بقيق ظل يلاحقه فأنتج في هذه السنة التي نحن بصدها ٤٠٩ ألف برميل • ولكن ستبقى قصة البترول في السعودية احد اسرار هذا الكون العجيبة ، فكما انبثق من الجزيرة العربية النور والايمان منذ اربعة عشر قرنا ، فها هو ذا ينبثق منها في عصر المادة الطاقة التي توشك ان تجعل الجزيرة العربية تمسك بيدها مصائر أمم وشعوب • ان البترول يوجد في مناطق متعددة في انحاء العالم ، ولكنه يوجد على شكل عيون وآبار ونافورات اما في السعودية فهو يوجد على شكل بحار ولعل هذا التشبيه يمكن ان يعطيك فكرة •

فحيث قلب منتجي النفط كاد ينخلع من الكميات غير المعقولة من النفط في حقلي بقيق والسفينة ، اذا بحقل جديد يبلغ انتاجه ضعف انتاج الحقليين معا ، واعني به حقل الفوار الذي انتج وحده عام ١٩٦٥ التي اتخذناها سنة للقياس ، ٨٩٠ ألف برميل •

وقد كان التهديد بتدمير هذا الحقل وحده هو الذي شل اقدام الامريكان على استعمال القوة لفرض ارادتهم عندما جد الجد •

شركات اخرى :

ومضت قصة البترول المذهلة فقد حصلت شركة ارامكو على ما يفوق آمالها ، بل وطاقاتها ، فتخلت عن مناطق شاسعة كان لها حق التنقيب فيها ، واعطيت لشركات اخرى بشروط احسن واحسن لصالح المملكة وبدأت تتألف شركات من اليابانيين والعرب ، والفرنسيين والايطاليين والعرب ، وانتهى الامر بتكوين شركة عربية بحتة ، وكلها كانت تعثر على البترول وبكميات ضخمة •



وحدة حفر في مياه البحر الاحمر قرب مدينة الليث

شبه الجزيرة كلها :

وتابعت ملحمة البترول في جزيرة العرب مسيرتها ، فبدأ البترول
يكتشف كالطوفان في الكويت وفي بقية امارات الخليج ، وقطر
والبحرين ، ودبي وابو ظبي ، وعمان ، واصبح بترول شبه جزيرة العرب
هو مادة الحياة الصناعية التي تقوم عليها حياة اليابان وكل اوربا الغربية .
المانيا وايطاليا وفرنسا وانجلترا ، كما بدأت رفاهية الولايات المتحدة
تعتمد على بترول العرب .

وحسبي الآن ان اقل لك من تقرير لجامعة الدول العربية عن موقف
البترول في العالم . اصبحت نسبة الاحتياطي البترولي في العالم على
الوجه التالي :

نصف الكرة الغربي والبحر الكريبي	١٣٤٪
وامريكا اللاتينية	
البلدان الاشتراكية	١٦١٪
الولايات المتحدة	٧٥٪
افريقيا غير العربية	٥٨٪
البلاد العربية	٤٩٧٪

اي أن البلاد العربية وحدها اصبحت تملك نصف بترول العالم
وتملك شبه جزيرة العرب وحدها اكثر من ثلاثة ارباع هذا الاحتياطي .
البحث عن طاقة بديلة :

وهم يتحدثون عن امكان التوصل الى طاقة جديدة ، ولا بد انهم
وختما سيتوصلون الى هذه الطاقة الجديدة ولكنها لن تكون بديلة عن
البترول ، بل ستعمل الى جوار البترول . ان في العالم مئات الملايين
من السيارات والطائرات، واي نظام جديد للطاقة سيستعمل في الاغراض

والمنشآت الجديدة وسيظل البترول أئمن مادة اولية يحتكم عليها البشر
وسوف تزداد قيمتها مع الزمن ، وحسبنا ان نتصور ان ثمنها تضاعف
في اقل من سنة الى اربعة اضعاف ، وحيث تتردد اصوات خافتة في
انقاص سعره يتنفس العالم الصعداء عندما يقال له ان ثمن البترول لن
يرتفع في الاشهر الثلاثة التي تبدأ من ابريل عام ١٩٧٤ • ولست هنا
أدرس موضوع البترول وانما أتحدث عن الملك فيصل وكيف صبر
وكيف حسب ودرس حتى اذا استوثق ، اعتمد على الله وضرب •



خاتمة نظرة إلى المستقبل

انا من المؤمنين ان ما تم على يد انور السادات ، مثل ما تم على يد الملك فيصل هو بتوفيق الله وارادته التي شاءت ان يبدل الدنيا غير الدنيا ، وان يهيئ للعرب والمسلمين فرصة لينهضوا من كبوتهم ويشتوا وجودهم ، وانا في ذلك اترنم بقول الله عز وجل لرسوله « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » وقوله سبحانه وتعالى « فما قتلتموهم ولكن الله قتلهم » وقوله تعالى « وما النصر الا من عند الله » ولكن نسبة الامور كلها لله ، لا يتعارض مع اكرام من اجرى الله الفضل على يديه ، بل ان هذا الاكرام يصبح واجبا علينا باعتباره جزءا من ايماننا بالله ، فالاسلام لا يتم الا بالشهادتين معا ، الشهادة بوحداية الله وان محمدا عبده ورسوله . وعلى هذا الاساس كتبت عن انور السادات واكتب عن فيصل تمجيذا لفضل الله الذي اجراه على ايديهما وعلى بقية قادة العرب ابتداء من حافظ الاسد (سوريا) وهوارى بومدين (الجزائر) والملك الحسن (المغرب) والحبيب بورقيبة (تونس) والشيخ صباح السالم صباح (الكويت) والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (دولة الامارات العربية المتحدة) والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة (البحرين) والملك قابوس

(سلطنة عمان) اي ان اليقظة العربية كاملة ولا مرء ان فيصل بموقفه كان من اعظم العوامل التي جعلت كل هذا الذي حدث ممكنا .
فماذا حدث :

اننا لكي نعرف حقيقة ما حدث يجب ان نعرف اولاً ما الذي كانت احوال العالم العربي قد وصلت اليه .

كانت اسرائيل قد هزمت العالم العربي كله بهزيمة مصر الساحقة وسوريا والاردن واحتلالها القدس وما بقي من فلسطين مما عرف باسم الضفة الغربية وقطاع غزة كما احتلت سيناء وعظمت الملاحة في قناة السويس ، واصبحت حدودها الجديدة في قلب مصر ، وعلى مرمى من المدينة المنورة ذاتها .

وتمزق العرب واختلفوا وراحوا يواجهون بعضهم بعضاً ، واستغلت اسرائيل ذلك كله فراحت تعربد في المنطقة وتوهم الدنيا كلها انها اصبحت سيده العرب تفعل فيهم وبهم ما تشاء ، وان السبيل الوحيد لاستمرار سلطان امريكا واوروبا الغربية في البلاد العربية ونهب ثرواتها من البترول وغيره هو بالوقوف خلف اسرائيل واطلاقها تفعل بالعرب ما تشاء ، وبلغت امريكا وبلغت اوروبا الغربية بل والعالم كله هذا التصور اليهودي وراحوا يرتبون حياتهم على اساسه .

— فالعرب قوم متخلفون .

— والعرب لا يمكن ان يرتفعوا الى مستوى فهم التكنولوجيا الحديثة .

— والعرب لا يمكن ان يتحدوا .

— والعرب لا يمكن ان يستغنوا عن بيع البترول للغرب ، ولو فرض انهم اقدموا على ذلك فليشربوه . وكانت كل هذه المبادئ ترتكز

على ما اعتبرته اسرائيل انه حقيقة لا تقبل الجدل وهي ان جيشها لا يقهر
وسلاح طيرانها يستطيع ان يصل الى اعماق اعماق البلاد العربية وان
يضرب وان يدمر ويحرق فيؤدب كل من تحدته نفسه ان يخرج عن
الطاعة ، طاعة اسرائيل اولا وامريكا ثانيا ، واوروبا الغربية ثالثا . وراحت
امريكا تتصرف على هذا الاساس - بالرغم من ان فيصلا راح يحذر
امريكا وينذر انه باعتباره ملكا عربيا مسلما ، وانه بصفة خاصة قد باشر
قضية فلسطين منذ يومها الاول في حياة ابيه التي بذل فيها جهودا
مضنية ، وما عليك الا ان تقرأ كتاب «صقر الجزيرة» لتلم بطرف من هذه
الجهود . ولطالما سمعت انا منه شخصا قوله انه على استعداد ان يموت
هو واولاده اذا كان في ذلك انقاذ لفلسطين ، ومات عبد العزيز قبل ان
يشهد هذه النكبة ، ولكن فيصلا تجرعا ، وكان يزيد في عذابه ان
امريكا التي يتعاون معها كل هذا التعاون هي حامية اسرائيل بل
ومشجعتها على ارتكاب جرائمها ، فراح كما قدمنا يحذر وينذر فلم
تأخذ امريكا تحذيره مأخذ الجد ، فقد تصورت ان الاعتماد عليها
اصبح عنصرا طبيعيا من كيان السعودية ، اما ان تقف السعودية موقف
المواجهة فضلا عن الخصومة بحظر تصدير البترول اليها .. فشيء يعد
من المستحيلات .

ومع ذلك فقد اقدم فيصل وبقية امراء الجزيرة على هذا
الذي اعتبر مستحيلا فحظر ارسال البترول الى الولايات المتحدة والى
هولندا والى كل بلد يساند اسرائيل ، وفي ذات الوقت اعلن عن
تخفيض انتاج البترول ٢٥٪ بصفة عامة تزداد كل شهر بنسبة ٥٪ وهو
قرار اذا كانت الجزائر وليبيا تأخذ نصيبها من الفضل في اصداره فهو
ما كان ليصدر على الاطلاق ، وحتى اذا صدر فما كان يمكن ان تكون له

فاعلية بغير السعودية في الدرجة الاولى (١) •
 وزلزلت الارض زلزالها ، وفزعت اليابان ، وجثت اوروبا الغربية
 على قدميها فأسرت تعدل من سياستها ، اما امريكا فقد صعدت لحبوط
 سياستها بهذا الاسلوب المزري ، ولاول مرة في التاريخ يشعر الشعب
 الامريكي ان عليه ان يودع حياة الرفاهية وان يكتشف ان بعض مصيره
 يتوقف على السعودية ولم يكن امام امريكا الا ان تستعمل القوة وهي
 لا تعرف اين ينتهي بها استعمالها واي كوارث يمكن ان تؤدي اليها ،
 او ان تغير لا اقول سياستها ، بل نظرتها للعرب وقد تغيرت كلتاهما
 النظرة والسياسة وانا اقول ذلك لا لأن الامريكان يقولونه بل ان طبائع
 الاشياء تفرضه فرضا بعد ان ثبت ان جيش اسرائيل يقهر ، وهو ما
 حدث في ٦ اكتوبر والايام التالية ؛ ولو لم تخف امريكا لنجدة اسرائيل
 لقضي عليها • اما الحقيقة الثانية فهي ان مساندة اسرائيل ليست هي التي
 ستحافظ على مصالح امريكا بل ان هذه المساندة هي التي ستنتهي
 بتدمير كل مصالح امريكا •

وانا اكتب هذه السطور الآن في مارس ١٩٧٤ وقد أصدرت دول
 شبه الجزيرة قرارا جديدا برفع الحظر عن البترول واعادة تصديره الى
 امريكا ، ومرة اخرى ما كان هذا القرار ليصدر لو ان فيصلا لم
 يستعمل حكمته وقدرته السياسية لكي يصدر • لقد احدث سلاح
 البترول كل الاثر المطلوب منه ، واصبح الاستمرار في استعماله يؤدي
 الى عكس المطلوب • ان اي قوة في الطبيعة تتولد من المد والجذر ،
 والقبض والبسط والتخلي والتكاتف وهكذا • اما استمرارها في اتجاه
 واحد فلا يحدث المطلوب ، فلو استمر الحظر لاعتاده الامريكان وبدأوا

(١) اعني اي قارئ من ان يتصور انني اقل من فضل احد ، فلكويت
 وليت الصباح الحاكم نصيب كبير من هذا النصر •

يرتبون انفسهم على اساسه كما هو الحال بالنسبة لهولندا ولوقعوا
فريسة الدعاية اليهودية اكثر واكثر ، اما الآن وبعد ان ينعموا من جديد
بنعيم البترول العربي فسيعملون كل ما في طاقتهم كي لا يقعوا في
المحذور من جديد •

وهكذا عرف فيصل متى يشتد ومتى يلين •

مستقبل العرب :

والآن ولكي اختتم هذا الحديث عن فيصل ، لا مناص من ذكر
بعض كلمات اتحدث فيها عن مستقبل العرب والاحتمالات العظيمة التي
بانت متوقعة والتي سيذكر التاريخ دائما انها بدأت بعد العاشر من
رمضان ١٣٩٣ هـ (٦ اكتوبر ١٩٧٣) :

اولا : بعد ان كانت شركات البترول ترعد وتبرق وتهدد وهي وحدها
التي تحدد سعر البترول ، أصبحت الآن لا حول لها ولا طول ،
واصبح التأميم هو احد امانيتها • كل الذي اصبحت تطمح فيه ان
يتدفق البترول وان تسمح البلاد العربية باستخراجه من باطن
الارض بالقدر الكافي لابقاء دورة الحياة في الدول الصناعية
الكبرى منطلقة •

ثانيا : لم يعد يكفي البلاد العربية ثمننا لبترونها اوراق نقدية من اي نوع
كان حتى ولو كانت ذهباً ، بل لا بد من المصانع وكل ضروب
الانتاج الذي تحتاج اليه البلاد العربية •

ثالثا : لم يعد هناك مناص من استثمار اموال البلاد العربية في البلاد
العربية نفسها او على الاقل الجزء الاكبر منها ، وهو ما من شأنه
ان يعجل بازدهار العالم العربي •

رابعا : وسوف يؤدي ذلك كله الى الاستفادة بتكامل العالم العربي بحيث يمكن القول انه خلال عشرين سنة اخرى من الآن سوف يكون العالم العربي ثالث قوة تؤثر في مصائر العالم .
وانا اعرف أنه ستكون هناك أزمات وستكون نكسات ولكن النتيجة النهائية ستكون في حدود ما قدمت . ان القرن الحادي والعشرين سوف يشهد قوة العرب تساندتهم قوة افريقيا - والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد المولود في مكة والمدفون في المدينة والذي بعثه الله في جزيرة العرب وأنزل عليه قرآنا عربيا يتعبد به ٦٠٠ مليون في ارجاء العالم .

فهرست الکتاب

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة الكتاب
٢١	كتاب ووالد وما ولد

القسم الاول

٢٧	نشأة المملكة العربية السعودية وتطورها
٣١	الفصل الأول : تاريخ الحركة الإصلاحية
٤١	الفصل الثاني : حديث محمد بن عبد الوهاب والسعوديين
٤٧	الفصل الثالث : تاريخ وآثار في الرياض
	* عبد العزيز آل سعود
	* أربعون رجلاً وثلاثون بندقية
	* الخطة
	* ٤ شوال
٦٣	الفصل الرابع : ابن سعود يبدأ ملكه
	* الملك حسين وابن سعود
٦٩	الفصل الخامس : معرفتي الوثيقة بابن السعود
	* في حضرة الشيوخ
	* صفحة جديدة
	* روزفلت وتشرشل
	* لماذا مصر
	* كيف وقف على العياد
	* والسفير البريطاني
	* هذا لا يليق بك
	* أول ما يخربط يخربط عليك
	* بعض من كل

القسم الثاني

- * الابن والتلميذ والبطل فيصل بن عبد العزيز ٨٣
- * نبذة عن حياة الملك فيصل ٩١
- * رحلة مبكرة إلى أوربا
- * وزير الخارجية
- * التواضع والبساطة
- * رئيس الوزارة فالملك
- ١٠٣ الفصل الثاني : الذروة
- * قطع النفط عن أوربا
- * النهضة العمرانية
- ١٣١ الفصل الثالث : قصة البترول
- * تاريخ المشروع وتطورات
- * ولكن
- * البئر السابعة
- * إنتشار العمران
- * إلى رأس التنورة
- * بترول الشرق الأوسط
- * شركات أخرى
- * شبه الجزيرة كلها
- البحث عن طاقة جديدة

خاتمة

- ١٧٩ نظرة إلى المستقبل
- * فماذا حدث
- * مستقبل العرب

المكتبة العصرية للطباعة والنشر
صاحبتها: شريف عبدالرحمن الانصاري صيدا - بيروت
تلفون: بيروت ٢٣٧٥٤٥ - صيدا ٧٢٠٣١٧ و ٧٢١٦١٢

General Organization Of the
and Library (G.O.A.L.)
Bibliothèque de l'Université
Alexandria



مَنشورات
المكتبة العصرية - بيروت - صيدا